المقتطف

الجزء الثالث من المجلد الثامن عشر بعد المئة

مارس سنة ١٩٥١ March 1951

محنة الأدب المعاصر

للأستاذ مصطفى عبد اللطيف السحرتي

يجمل بنا ونحن على عتبة النصف الثاني من القرن العشرين، أن نلقي نظرة عاجلة على تراثنا الأدبي في السنوات الأخيرة. فماذا نجد في هذا التراث؟ وأية مثالية له؟ وأية رسالة؟

حقاً إنه من الصعوبة بمكان الإجابة، إجابة موفقة مفصلة، وإنما يمكن القول اجمالاً بأن انتاجنا الأدبي الأخير دار معظمه حول الامتاع، وأهدف قليله إلى غرس الثقافة والعلمية، وندر منه ما عبّر عن آمال العصر وآلامه وأشواقه، ودفع إلى ركب التقدم ودنيا الحضارة. فهو في رأينا أدب متخلّف عن عصره، مذبذب في هدفه، أشبه بالسفينة فقد قائدها، واعترك راكبوها في موج زاخر، ورياح عاصفة، وسماء عابسة كدراء.

فثمة طوفان من الانتاج المنحرف، يهدهد الغرائز، ويخدر الأعصاب، وثمة فيض من أدب البهرجة والزينة، يسمم المشاعر، ويشل الأذهان، وركام من الأدب القديم ينقل الى أبناء القرن العشرين في وشاحه العتيق، وأصداء من دنيا الأموات ترددها أبواق في عالم الأحياء، وزفرات يصعدها المنطوون في سماء مصر الصافية، وجوها الوضاء، وهمهمات من الغرب يهتف بها ببغاوات من الشرق، ووسط هذه جميعاً، قد نجد نفحات أدبية منعشة للمشاعر والعقول، وقد نقع على بذرات نقية تحاول أن تخرج من ظلمات التربة إلى أضواء الوجود.

ويمكن تقليب البصر في فروع الأدب المختلفة، من مقال أو شعر أو نقد أو ترجمة

للأشخاص ، أو قصة أو مسرحية، لنشهد هذه الظاهرات المشجية ، منعكسة على تراثنا الأدبي المعاصر .

فالمقال في أدبنا المعاصر ، مع استثناءات قليلة ، سطحي في فكرته ، تافه في مادته ، مضطرب في هدفه ، كأنما قد انعكست عليه بهلوانية الصحافة المتأمركة ، أو غني في لفظه فقير في معناه ، كنسيج العنكبوت البديع ، احتمل ذبابة ميتة .

والشعر يتراوح بين كلاسيكية حفرية ورومانتيكية مريضة ، لا إصالة إلا في النادر ولا طرافة ولا جرأة ، وهذا ملموس في الدواوين التي صدرت مؤخراً في عام ١٩٥٠ (باستثناء ديوان ليالي القاهرة) ، وفيما نشر في المجلات الأدبية من قصائد تحمل روح القدامى ، وصياغتهم ، ولا تمتّ لروح العصر بأي نسب.

وحال النقد ، مع قلته أكثر سوء ، إذ يضم الى غرور التعالم ، التحامل والهوائية إنه أحكام مطلقة ضالة مضللة للشباب المتأدب ، ومثل هذا النقد لا ينصف إلبتة انتاجاً أدبيًا ، ولا يدفع إلى خلق جديد .

وأغلب النتاج الروائي والقصصي ، مع كثرته ، ضحل مليء بالافتعال ، تدور تجاربه حول الحب الساذج ، والعاطفة المصطنعة ، والذات المنطوية ، والشهوة العارمة ، فضلاً عن وهن الأساليب ، وركاكة الصنعة ، ولسنا في حاجة إلى ذكر شواهد محددة على هذه الحقيقة ، فرجعة إلى المجموعات القصصية الأخيرة ، وإلى قصص الصفحة الأخيرة من صحفنا اليومية ، تكشف عن هزال هذا الانتاج الوفير الفقير .

*

ومع هذا ، فقد شعّت وسط هذا الركام الأدبي المظلم ، مصابيح تفهق بالضياء حملها بعض أدباء الشيوخ والشباب على السواء ، استهدى بأضوائها الجيل الحاضر ، واتخذها معلماً ، لرحلته الشاقة . ونذكر على سبيل المثال كتابات الدكتور طه في مثل كتبه «ذكرى أبي العلاء ، وحديث الأربعاء ، والفتنة الكبرى» وما جرت به يراعة الدكتور هيكل في مجلة السياسة الأسبوعية وفي مثل كتابه « ثورة الأدب » .

وما دبجه الأستاذ أحمد أمين في « فجر الاسلام وضحاه » ، و « زعماء الاصلاح » وما نشره العقاد والمازني في بداية حياتهما الأدبية ، من مثل « الفصول » و «ابن الرومي » و«حصاد الهشيم » ، وابراهيم الكاتب وغيرها من التآليف، وما أثاره الأستاذ اسماعيل مظهر من فكرات اجتماعية جريئة . وما نفثته ريشة الدكتور مندور في مثل كتابه « الميزان

الجديد » وما طعّم به الأدب الاستاذ محمد خلف الله من نظرات نقدية وسيكولوجية ، وما تغنى به الدكتور أبو شادي وناجي والصيرفي وصالح جودت ، وما أخرجه محمود الخفيف من ترجمة لبعض أعلام الحرية ، وما زرعه بعض كتّاب الرواية والقصة القصيرة من ثمار طيبة ، ونذكر منهم محمود تيمور ونجيب محفوظ ومحمود البدوي وعادل كامل ، والحجاوي والسحّار وغراب والشاروني وغيرهم . وما أخرجه توفيق الحكيم في فن المسرحية والرواية ، مما يعد فتحاً جديداً في هذين الفنين .

وقد كان لطائفة من البحوث الجامعية الأدبية الضليعة أثر مذكور في تكميل الثقافة المصرية ، والكشف عن تطورنا الفكري ، فضلاً عن أن الترجمة من الانجليزية والفرنسية والروسية كان حدثاً مهمًّا في تلوين هذه الثقافة لوناً جديداً ، وتوجيه الأفكار إلى ميادين أدبية رحيبة ، ونذكر من المترجمين المصريين الممتازين «السباعي وعباس حافظ والمنفلوطي ومحمد بدران وحافظ عوض والزيات والمازني وزكي نجيب محمود ، وغيرهم كثيرون أغنوا الأدب المصري بترجمات موفقة ، في الأدب الخالص ، وفي فن القصة.

والملحوظ أن كثيراً من هذا الانتاج وشبهه أخرج منذ ربع قرن مضى ، وقليله في السنوات الأخيرة ، وان طائفة من مثمريه سكنت في الوقت الحاضر عن الانتاج ، وما أخرج كان مقصوراً على تزويد البيئة المصرية بالثقافة كرياضة فكرية دون أن يكون لها هدف في توجيه الحياة الحاضرة ، وتقوية الوعي الاجتماعي والقومي ، ومجاهدة الفوضى السائدة في المجتمع ، وفي المعتقدات والآراء .

وأما أكثر انتاجنا منذ عشر سنوات ، فهو كما ذكرنا في صدر هذا المقال ، انتاج سقيم ، قوامه إمتاع الغرائز ، أو بعث الأدب العتيق من رقاده العميق ، أو الهيمان في أودية الأحلام ، والعيش في الابراج العاجية ، دون تنبه إلى ما يعجّ به المجتمع المصري من أحداث ، وما يدف به من آمال وآلام وخوالج ، ونزوع الى التحرر الفكري والاجتماعي ، والتجاوب مع الروح الديمقراطي الوثّاب . وهذا في رأيي تخلف خطر ، واستخفاف بالمصرية ، وخيانة أدبية لا تغتفر .

*

ومن الأليم حقًّا ، أن الرواد ومن قفاهم من الأدباء الممتازين الذين خدموا الثقافة قد هزل انتاج بعضهم في الفترة الحاضرة ، أو جدب نهائيًّا ، لاعتبارات سياسية أو صحية أو معاشية أو نفسية أو اجتماعية ، ولهذه الظاهرة الأدبية آثارها الوخيمة الخطيرة.

فقد أدبر الدكتور هيكل عن ميدان الأدب وانغمس بكليته في ميدان السياسة الحزبية، وقد كنا نعلـق على جهوده آمالاً وآمالاً. وكف الدكتور زكي مبارك عن التأليف الرصين واقتصر على شوارد أسبوعية يدبجها في صحيفة البلاغ اليومية، تضم ذكرياته السحيقة وبدواته الغريبة وصباباته الوهمية— وودع الأستاذ ابراهيم المصري رسالتـه الأدبية والنقدية بالنظر لحالته الصحية، واكتفى بتسجيل خواطره الطائرة في مجلة أخبار اليوم السياسية— وهجر الدكتور أحمد زكي أبو شادي بيئته الجحود، ففقدت بلاده بهذه الهجرة ركناً وطيداً من أركان التعاون الادبي، وتباعد الرائد الـكبير عبد الرحمن شكري عن حقل الشعر، وقصر جهده على بحوث شهرية يدبجها في «المقتطف» تحت امضاء ع. ش. واجتوى العقاد بحوثه الأدبية الرصينة، وكفر بمبادئه الحرة الأولى وتوزع قلمه بين السياسة الحزبية العمياء، والأدب الصحافي، وكان آخر العهد به ديوانه «بعد الأعاصير» الذي شُيِّعَ بتراتيل الأفول الخافتة.

وفقدت القصة القصيرة علمين من أعلامها هما الأستاذان يحيي حقي وطاهر لاشين، إذ طلقاها طلاقاً رجعياً بل بائناً على ما نعلم، وخيّب الحكيم اليوم آمال الصفوة فيه، إذ دار في فلك الصحافة، فنزل مستوى أنتاجه الحاضر، عما كان قبلاً، نزولاً مشجياً، ففقد الجماليون روائعه الفنية، أمثال شهرزاد وبجماليون والقصر المسحور وغيرها، وحرم الواقعيون آثاره الواقعية: أمثال «عودة الروح» و «يوميات نائب» «وأهل الفن» وما إليها، وكتابه الأخير مسرح المجتمع، شهيد على ذواء فنه.

*

وسكن شعراء الحركة الابتداعية سكوناً أليماً، وعجزوا عن مسايرة روح العصر الجديد اللهمّ إلاّ ومضات تغطي عليها الظلمات، فوقف حسن الصيرفي عند رومانتيكيته غارقاً في أحلامه وألحانه الضائعة، اللهمّ إلاّ فلتات واقعية شهابية، وقنع صالح جودت بأغانيه المخدرة هائماً كالفرفور في دنيا الزهر، وهجر محمود حسن اسماعيل نفثاته الأدبيـة الأولى، والاعراب عن مرائي الحياة في الريف، شاطحاً في عالم المجهول ودنيا اللاشعور، وركد مختار الوكيل، وخيّب تأميلنا في أنجاب نقدي وشعري مقدور. وأخلد سيد قطب إلى الرجعة والتعصب للتقاليد مجاهداً كل نزعـة عصرية جديدة، وتحول الدكتور رمزي مفتاح عن باحة النقد الأدبي إلى عالم الروح وميدان الرياضة.

وهكذا انـكمش هؤلاء الأدباء وغيرهم شيوخاً وشباناً عن الخلق الأدبي الجديد مؤثرين السلامة، والهرب من المسئوليات الأدبية المعاصرة، فخلا الجو من الموهوبين،

النوابغ وسبح فوق نهر الأدب العذب زبد كثيف من المتعالمين والمهرّجين والمتسلقة، إذا استثنينا قلة من الأدباء المجهولين، يحاولون مناضلة الأدباء المنحرفين في إيمان وثبات وصبر.

ولقد التمس المفكرون تعرف علة المحنة الأدبية الحاضرة، فارتأى بعضهم أن «مشكلة الخبز» هي أس المحنة، على حد قول المثل الفرنسي «قبل أن تتفلسف يجب أن نعيش» وأرجع بعضهم العلة إلى «معضلة النشر» لأن أغلب أصحاب دور النشر لا يحتفون إلاّ بانتاج ذوي الأسماء الرنانة، وإن كان غثـًا، ويهملون انتاج الشباب الصاعد.

وعلّـل آخرون أسباب المحنة بذيوع الصحف المعربدة بما تنشر من توافه، وما تزخر به صفحاتها من مواد مخدرة، وما تطعم به العقول من أكاذيب، وانفعالات نازلة، وما تقيمه من سدود في وجه الأدب الرفيع، بفضل المحررين الآنانيين، أو أنصاف المتعلمين الذين يعملون بها حتى صرح أحدهم بأن الأدب مادة كمالية تستخدم في الصحافة لملء الفراغ.

وردّ الكثيرون مصدر العلة إلى عـدم وجود المنبر الحر في هذه البلاد، وإلى تغافل الدولة عن إنصاف الأعمال الأدبية الممتازة، ومعاونة الأدباء معاونة جدية، على حين أنها لا تبخل بالمال، على كثير من رجال الصحافة والمرتزقة.

وهذه التعليلات وأمثالها مع وجاهتها، في تعويق الحركة الأدبية المعاصرة، ليست عوامل جوهرية في الأزمة الأدبية الحاضرة، فما كانت مشكلة الخبز في عهد من العهود، سبباً في محنة الادب أو رفض الأدباء عن الانتاج الصالح، لأن الأدباء الأصيلين يرتفعون دائماً على البأساء، وقد يرحب بعضهم بها، ويجد في جنباتها، وحياً لأعمالهم الادبية الحقة

وأما النشر فهو مشكلة حقـًا، ولـكن يمكن التغلب عليها بتعاون الأدباء مع بعض الأغنياء المغمورين العمل على إذاعة النتاج الادبي الجديد. وتكريس الجهد في هذه الناحية المجزية ماليـًا وأدبيـًا، ويمكن اتخـاذ دور النشر الانجليزية، مثالاً حيث يهتم بعضها بالأدب الكلاسيكي، وبعضها بالأدب الروائي، وبعضها بالكتب الجامعية، وبعضها بالأدب العصري المتقدم.

وليس من العسير أيضاً، التغلب على آثار الصحافة الحـاضرة، ومستواها النازل، بايجاد مجلة أدبية راقية، أو أكثر جديرة بمكانة هذه البلاد. يقوم على تحريرها صفوة من النوابغ المؤمنين بالرسالة الأدبية المعاصرة، وتعمل على تزويد القارىء بالموضوعات العصرية المنوعة، والتجاوب مع الأذواق المتباينة، والعنـاية بمشكلات المرأة والفلاح والعامل وغيرهم. وقد قامت مجلة «الـكاتب المصري» التي اختفت مع الأسف بشيء من

هذا النشاط ، ومن الممكن اعادة مثيلاتها ، إذا وجدت العزائم الصادقة ، ونحن لا نشاطر بعض الأدباء مخاوفهم من أن نجاح مثل هذه المجلات الراقية عسير ، لأن مآل الأدب الحي الانتصار في النهاية ، ولأن هزال المجلات الأدبية الحاضرة يرجع إلى نشر الموضوعات البالية والمطروقة ، أو العتيقة المتخلفة ، أو الخيالية المجنحة التي لا تتصل بالحياة .

ولا يعز المنبر الحر على الأدباء الشجعان في البلد الديمقراطي ، فالمنبر ينال ولا يوهب ، ونيله ميسور لأولئك الذين يعرفون الأصول الدستورية ، ويؤمنون بحرية الفكر ، ولا يخافون سخط المتصلبين ، ولا حنبلة المتزمتين ، ولا سطوة القادرين .

وأما تغافل الدولة عن معاونة الأدب والأدباء معاونة ايجابية ، فأمر من السهل معالجته بتضافر الأدباء على افهام رجالات الدولة حقوقهم ، وتقدير كفاياتهم ، ووجوب توفير الفرص لهم ، فتقدير ذوي الكفاية والأقلام المتحررة خدمة للديموقراطية الحقة ، التي تنشد الحرية وتستهدف اعزاز ذوي الفضل والمعرفة .

فليست محنة الأدب المعاصرة إذن راجعة إلى العوامل الخارجية التي ذكرناها قريباً ، بل هي كما قلنا عوامل يمكن التغلب عليها ، وانما مصدر العلة وأصل البلاء ، هو في الأدباء أنفسهم ، وفي بلبلة مبادئهم ، وقصور ثقافتهم ، ووهن خلقهم ، فالملحوظ في الآونة الحاضرة أن اغلب أدبائنا ، ان لم نقل جلهم ، لم تتبلور لهم مبادىء اجتماعية وقومية وانسانية ، ولم يدينوا بروح الديموقراطية الحقة ، والوطنية الحارة ، والحضارة القويمة . ولهذا نجد انتاجهم مبلبل الاتجاه منحرف الغاية ، لا يبض بثمر صالح للجيل ، فنفر كفر بالخير العام وباع نفسه للصحافة المضللة ابتغاء الغنم المادي والشهرة الطائرة ، ونفر اختطفته المنفعة فعكف على عبادة الأقوياء والتسبيح بآرائهم ، ونفر هام بنفسه ، فوقف قلمه على الاعراب عن مشاعره التافهة ، وهواجسه الدخانية . ولمة أخرى قنعت بثقافة قديمة محدودة ضيقة ، وأبى عليها مركب النقص التزود من الثقافة العالمية الخصبة ، والتفاعل معها ، فلم تنجب جديداً ، ولم تزهر ثمرة ، وعلى عكسها . كوكبة استمرأت التغذي على قشور الأدب الغربي فعاشت عليه عالة ، وأخذت تنفث في الجو الأدبي مقولات غريبة لا تمت بأية صلة لروح الجماعة المصرية . وطائفة غير هؤلاء ركبها الغرور والتعالي ، وانفصمت عن الأدباء ، هائمة بحياة مترفة ، في مجتمع يعج بالألم والشقاء والمرارة .

*

وهذه الفئات المتباينة من الأدباء ، لا تربطها نازعة المحبة ولا الاخاء وإنما تسيرها نوازع القطيعة والتنابذ والجفاء ، كجماعة من القطط في زكيبة مقفلة ، تعض بعضها بعضاً ،

وتقاتل بعضها البعض الآخر !

ولم تعدم البيئة الأدبية ، رغم هذه الظلال القاتمة ، قلة من رجالها ، تغلبت على العوائق الخارجية التي أسلفنا ذكرها ، وتحللت من الانحرافات الباطنية ، ونشرت من خلال إنتاجها الأدبي أضواء تنير معالم الطريق للجيل الجديد .

ويحضرنا من هذه القلة ، أمثال الدكتور طه حسين ، والأستاذ سلامه موسى ، والدكتور أحمد زكي أبو شادي والأستاذ محمود تيمور ، وفريق من الشباب الصاعد يعمل في صمت وتفان وايمان كدودة القز ، تخرج للناس الحرير ، وتفنى فيه .

فلم تقف جهود الدكتور طه على نشر الثقافة ، وتربية الذوق الأدبي ، بل وقف في الظلمات يرسل أضواء المعرفة ويعابث بقلمه وجه الظلم العبوس ، ويهتف في عهود الطغيان هتاف الحرية ، وينادي بالعدالة الاجتماعية ، وكتابه « المعذبون في الأرض » صيحة من صيحاته الذكية .

واعتنق الأستاذ سلامه موسى مبادىء الحرية وفي العمر الطويل الذي حمل فيه القلم وبث خمائره الصالحة لايجاد ثقافة موجهة ، وتوليد الافكار العصرية المتحررة ، وتآليفه العدة في الاجتماع والادب والسيكولوجية ، والعلم المبسط ، آية على مثالية الرجل ، وايمانه برسالة اجتماعية واعية ، يحاول أن يبثها في شباب الجيل ، ويبلور بها وجهات نظره في اعتناق العصرية .

ولم يقف الدكتور أبو شادي لحسن الحظ ، على ما ترك وراءه من كنوز أدبية وفكرية ولم تقعد به هجرته الى نيويورك عن الانتاج فان جهوده الأدبية والفكرية مطردة هناك ، وان كانت مقصورة على عدد من صفوة المفكرين ، وديوانه الاخير : «من السماء» ونفثاته في «صوت أمريكا» شهيدة على نشاطه الجم وفكره اللماح الوثاب — ولا يفوتنا أن نذكر بالخير جهود الأستاذ محمود تيمور المتواصلة في القصة القصيرة وفي المسرحية التاريخية ، ونزعته الواقعية في مجموعة قصصه الاخيرة « كل عام وانتم بخير » . وفي مسرحيته الممتازة « حواء الخالدة » وغيرها وهذا مما يحملنا على الافتخار بانتاجه الحاضر والاستبشار بأدب موجه قابل .

ومما يملؤنا غبطة أن نجد انتفاضات تسري في صدور الشباب الصاعد لتوسيع آفاق الأدب الحاضر ، وتوديع المرحلة الرومانتيكية التي قطعها أدباء النصف الثاني من القرن العشرين ، وذلك بالتوجه الى المجتمع ، والاعراب عن آماله وأشواقه ونوازعه ، والارتفاع على التيارات المنحرفة التي تجري فيه ، ومحاولة جهاد روح الهزيمة السائدة وتحويلها إلى روح ثقة وتفاؤل وانتصار ، وبمعنى آخر هجرة الفردية الأدبية واعتناق الجماعية .

فلقد رأينا الشاعر المجيد محمد مفيد الشوباشي ، يدعو في مثل قصيدته «أنا والمجتمع» إلى ترك روح الانكماش والانطواء ، والانغماس في موكب الحياة الزاخر ، وقد أنشأ مجلة «الأديب المصري» هو وبعض الشباب المتوقد أمثال لويس عوض وعلي الراعي وعباس صالح وشعبان وعاشور وغيرهم منادين بأدب التفاؤل والقوة وخدمة المجتمع ، ومحاربة الأدب الذاتي والأدب الجنسي ، وأدب التسلية والتخدير .

ورأينا شاعراً شابّاً ينادي بمثل هذه الدعوة في ديوان صدر مؤخراً يهيب بشعراء الحاضر أن يتركوا دنيا الخيال والأوهام ، وعالم الزهر والطير والاندماج في دنيا الناس ، في مثل قصيدته « الشاعر التائه » حيث يخاطبه بقوله :

أنت تخلو إلى النجوم إلى الزهـــر   إلى الطير حينما تتغنى
دع جمال الخيال وادخل كهوفاً   للملايين واروِ للكون عنا
إنما الفن دمعة ولهيب   ليس هذا الخيال والتيه فنّا

ووقعنا على بعض القصص لشباب الطليعة تحاول ابراز الحياة المصرية على حقيقتها ، ولكنها قصص قلال مبثوثة في الأدب الحاضر كحفنة من الماس في ركام من الزجاج المهشم .

*

ولكي نخرج من المحنة الأدبية الحاضرة ، فلزام علينا التخلص من رواسب أدبنا الكلاسيكي العتيق ، الذي يعيش في أذهان الادباء كشجرة الجميز العتيقة العابسة ، وان تتغير نظرتنا إلى المجتمع ، فندرك أن مجتمع اليوم غير مجتمع الأمس . فمجتمع اليوم لا يهتم بالحياة العامة ، وقد انتابته أعراض وانحرافات لم يعرفها مجتمع الأمس ، فثمة بلبلة فكرية ، وذبذبة خلقية ، وخلخلة شعورية ، ونزعة جموحة إلى الانطلاق ، وبالتالي نجد فريقاً لا يثبت على رأي أو فكر أو مبدأ ، وفريقاً متحيراً بين المثالية والوصولية ، وفريقاً مبلبل الحس لشعوره بعدم الأمان ، والخوف وما إليهما .

وهذا المجتمع المضطرب يحتاج الى الأديب الحقيقي لملاحظة ما يضطرم به من نزعات مختلفة ، ووجهات متناقضة ، لتمثل هذه الاتجاهات الجديدة والخروج من متناقضاتها بحلول سليمة مؤدية الى الخير العام .

فأولئكم الأدباء الذين يعكفون على بعث أدب الماضي في العصر الراهن ، إنما يقدمون شراباً قديماً في زجاجات جديدة ، ولن ينتفع به الجيل الحاضر لتباين الاتجاه واختلاف المزاج ، وأولئكم الذين ينفثون في الحاضر ، نزوات صدورهم وأنات قلوبهم ، لن يجدوا

بعد اليوم من يعطف عليهم أو يقف خاشعاً في مبكاهم! وأولـئكم الذين يجلبون من الغرب أدباً وجودياً مليئاً باليأس والفوضى، أو أدباً كافكياً مختلطاً بالترف والتهويم، أو أدباً سريالياً من بنات البارانويا، إنما يريدون أن ينشروا في البيئة المصرية بلبلة على بلبلة، ويطلقون من لفافاتهم الملغمة دخاناً مخدراً للمشاعر، خانقاً للأذهان.

فكيف السبيل إذن لأزهار أدب جديد؟ هذا هو السؤال الذي نحاول الاجابة عليه والجواب مثبوت في ثنايا هذا المقال، ويمكن تركيزه في أن الأدب لم يعد متعة أو تسلية بل صار عنصراً فعالاً في التوجيه الفكري والاقتصادي والسياسي، وهذا الادب هو الذي أقام النهضات، فلابد إذن من توسيع آفاقه في مصر، فلا يقف الأديب جهده على الاعراب عن ذاته، ومشاعره التافهة، وغرائزه. بل عليه أن يتناول مشكلات الحياة من جميع نواحيها، وحالة المجتمع لامكان التلاؤم مع مستحدثات العلم والثورة الصناعية، والمعاني الجديدة لحقوق الانسان على ان يكون تناوله لهذه الموضوعات تناولاً فنياً لا تقريرياً كما يفعل كتاب الصحف. ونقصد بالفنية رعاية قواعد الصنعة فى الكتابة سواء أكان موضوعها مقالاً أم شعراً أم قصة، أم ترجمة للشخوص، مع مراعاة التفاوت في أصول الصناعة الفنية لكل من هذه الفروع الأدبية. وليس هذا مجال بيان هذه الأصول. ولكن يمكن القول، في كلمات، إن المقال مثلاً في تناوله ومادته يختلف عن القصة. فالمقال الفني يمتاز بالطرافة أو الجرأة مع توصيل المعرفة توصيلاً قوياً نفاذاً، والقصة الفنية لا تعني بالمعرفة لذاتها، ولا لدعاية مقصودة لناحية من النواحي الاجتماعية أو التاريخية أو الاقتصادية أو الفلسفية، وإنما تأتي بالحقائق الاجتماعية أو الفلسفية أو غيرها بطريقة لا تطغى فيها الحقائق على الفن. وإلا كانت أشباه قصص أو مجالات اجتماعية أو تاريخية أو فلسفية.

ولهذا يهمنا في هذا الصدد ان ننبه الى الخطأ الشائع في تضمين القصة وقائع لا تحتملها، لغاية أو هدف مقصود، وذلك على حساب الفن، أو الاقتصار على تصوير مظاهر الحياة المادية وحدها دون نظر الى مظاهر الحياة المختلفة، فكرية أو اجتماعية أو روحية

فالوسيلة اذن لازهار الأدب هو توسعة أفقه وشمول واقعيته، أو بمعنى آخر ان يحتضن الأدب الجديد ما يدور في الحياة من واقعات واحداث، وما يدف في جوانح الناس من عواطف وانفعالات ونوازع نتيجة لاحداث المجتمع وهذه هي النظرة المتكاملة التي ننبه إليها.

ولكي نصل الى هذا الأدب المتكامل في نظرته، لا مفر من وجود الأديب المبلور في مبادئه، اجتماعية كانت أو قومية أو خلقية، الأديب ذو الثقافة الناضجة المرشحة، الأديب ذو الشخصية النقية، الذي يصدر في عمله عن ضمير حساس واخلاص حقيقي، فمن هذه

الشخصية ينبع الأدب الناضج الاصيل ، وشاهد ذلك قول الأديب الفرنسي الجهير . فلوبير لزوجة موباسان : — « إن صاحب الشخصية النقية يظفر بالاصالة ويسلك طريقة خاصة الى الرؤية والشعور بمرور الزمن »

ولا نحتاج بعد شمول النظرة الى الحياة، ونقاء الشخصية إلا الى الأدب النفسي في معاملة بعضنا بعضاً ، والتعاون الحق لجمع الخمائر الأدبية الجديدة لتكوين النهضة الأدبية المرموقة فنكون كجماعة النحل التي تسعى كل واحدة في طريقها ، ووفق إلهامها ، حاملة ما في طوقها من جني نافع لها ولجماعتها ، لتودعه مسكن الجماعة ، دون أن تعرقل واحدة أختاً لها ، أو تقف في طريقها ، بل كل تعمل في اخلاص وتفان لمعاونة الجماعة .

وبمثل هذا التعاون الذي نجده في جماعة كاملة الغريزة مثل هذه الجماعة المتواضعة ، يمكن إقامة صرح الأدب الجديد ، والخروج من هذه المحنة الحاضرة .

والأمل وثيق في أن يتأهب أدباؤنا الموهوبون للعمل الشاق المرتقب منهم ، وأن يفتحوا عيونهم إلى إنجاب ما يتطلبه الجيل الجديد من أدب جديد ، يصور الحاضر ويبني للقابل ، أدب يدرس الحياة المعاصرة من جميع وجوهها ، موطنين العزم الصارم على مواجهة ما قد يقف في وجوههم من عقبات كأداء يقيمها المتزمتون ، أو المترفون أو المتوصلون أو أعداء الحرية والتقدم .

وبعد فهذه كلمات عابرة في أدبنا المعاصر ، طالعنا فيها أسباب المحنة الأدبية المعاصرة ووسائل علاجها ، وما أمدنا أدباء الطليعة الممتازون من ثقافة، وما نشر علينا المائعون من أدب تطريب وإلهاء وخدر للمشاعر والعقول ، وما وصل إليه بعض أدبائنا من ردة وانتكاس بسبب ضغط البيئة ، وتفاعلهم مع سيئاتها ، وقد سجلناها على هذه الصفحات في عنف حيناً وفي لين حيناً آخر، ولا نرمي في عنفنا الى التهجم على أحد فما حملنا يوماً موجدة لانسان، وإنما نرمي إلى وجه الأدب الحبيب الذي وصل إلى خريفه في هذه الأيام ، آملين أن نجد من الموهوبين المغمورين ، ذوي النفوس الصافية ، والثقافة الناضجة ، عملاً جاداً مخلصاً لتخمير نهضة أدبية مرموقة جديرة بمكانة هذه الأمة واعراقها الأصيلة .

[المقتطف] يرحب بنشر ما تجود به قرائح هؤلاء الكتّاب الموهوبين المغمورين من ذوي النفوس الصافية والثقافة الناضجة ويرجو أن يتعاون أدباؤنا تعاوناً وثيقاً على خدمة الأدب . وأن لا يقف الناشرون في وجه انتاج الشباب الموهوب ، والأمل معقود على معالي وزير المعارف في العمل على إنصاف الأدباء والعناية بانتاجهم ، وأن تلقى صيحة الكاتب الأديب قلوباً واعية وآذاناً صاغية .

الخواص الوراثية

لدم الانسان

للأستاذ اميل توفيق

يتألف الدم من سائل أصفر باهت يقال له المصل ، ويحمل هذا السائل ما يناهز وزنه من الكرات الحمر . وتنقل تلك الكرات الاكسجين من الرئتين الى سائر الاعضاء . ويتجلط الدم عادة في بضع دقائق ، على أن بعض المواد الكيميائية تمنع هذا التجلط . ويمكن فصل الكرات الدموية عن المصل وذلك برج الدم في آلة طاردة مركزية كما تفصل القشدة عن اللبن . وبفصل كل منهما عن الآخر ، يصبح من الممكن أن تمزج الكرات الدموية لشخص ما بمصل شخص آخر ومشاهدة النتيجة تحت الميكرسكوب .

فماذا يحدث إذا أضيفت كرات دموية لدم ما إلى مصل دم آخر ؟

لقد وجد أن حالة من اثنتين تحدث نتيجة هذه الاضافة : أولاهما أن تظل الكرات الحمر تتنقل في أنحاء السائل ، مثلما كانت من قبل . وثانيتهما أن تترسب الكرات بعضها على الآخر على شكل كتل مترسبة . وعندما يحدث هذا نجد السائل يتلون باللون الأحمر كالحبر . وسبب ذلك هو أن جدران هذه الكرات الدموية تتشقق فينفجر منها السائل الاحمر أو الهيموجلوبين وتتجمع الجدران الخاوية بعضها على البعض كما ذكرنا ، وقد فقدت الكرات قيمتها الحيوية . ترى متى تحدث الحالة الاولى ، ومتى تحدث الحالة الثانية ؟

وجد البروفسور لاندستنر أن في كرات دم كثير من الناس مادتين سماها (ا،ب)(١) ووجد أن كرات بعض الناس تحمل المادة (ا) وسمي دمهم بالنوع (ا) . وكرات بعضهم تحمل المادة (ب) وسمي دمهم بالنوع (ب) . وكرات البعض تحملها معاً فسمي دمهم بالنوع (اب) - وكرات البعض الآخر لا تحمل أيًّا منهما وسمي دمهم بالنوع (صفر) - وبذلك يتميز لنا أربعة أنواع للدم . ولكنه وجد شيئاً آخر في المصل .

---

(١) Agglutiogen (A) , Agglutinogen (B)

فالدم من النوع الأول (ا)، يحمل مصله مادة مضادة للمادة (ب). والدم من النوع الثاني (ب)، يحمل مصله مادة مضادة للمادة (ا) — والنوع الثالث (ا ب) لا يحمل مصله مواد مضادة على الاطلاق -- وأما النوع الرابع صفر، فان مصله يحمل النوعين المضادين: المادة المضادة لـ (ا) والمادة المضادة لـ (ب)

النوع	المواد في الكرات الحمر	المواد في المصل
(ا)	(ا)	مضادة للمادة (ب)
(ب)	(ب)	« « (ا)
(اب)	(اب)	لا شيء
صفر	لا شيء	المادتان المضادتان

والآن هب أن دمك من النوع (ا) ويراد أن ينقل منه إلى دم مريض من النوع (ب) فماذا يحدث؟ إن كرات دم الواهب التي تحمل المادة (ا) تتلفها المادة في مصل الدم ب، وبذلك لا تعود فائدة ما من نقل هذا الدم.

وكذلك العكس إذا كان دم الواهب donner من النوع (ب) ودم المريض الموهوب recepient من النوع (ا). والواجب إذن أن يكون دم الواهب ودم الموهوب من نوع واحد.

ولكن ماذا يحدث لو أضيف دم من نوع صفر الى النوع (ا) أو النوع (ب)؟ الواقع إن هذا النوع مفيد في كل حالة من حالات الدم، ويسمى هذا النوع بالدم العالمي، ويسمى حامل هذا النوع بالواهب العالمي universal donner ذلك لأن كراته الدموية لا تحمل مادة ما، فهي إذن لا تتأثر بالمواد المضادة الموجودة في مصل الشخص الموهوب. هذا من ناحية، أما مصل هذا الدم فقد يقال إنه قد يتلف بمادتيه المضادتين كرات الشخص الموهوب، ولكن الواقع أنه لا خوف من ذلك إذا كان تيار الدم مخففاً إذ يسري المصل مع تيار الدم في الشخص الموهوب بغير أن يحدث شيئاً في كراته الحمر. وتزداد في دمه كرات الدم من النوع صفر، وبذلك يفيد انتقال الدم اليه.

وهذا، وهناك بعض الحالات التي فيها يحدث التلف من إضافة هذا الدم، ومن أجل ذلك يراعى أن يكشف عن أنواع الدماء المختلفة ولاسيما للجنود في الحرب.

وقد أصبح كشف النوع الذي ينتمي اليه دم طفل من الأطفال شاهداً في بعض الأحوال لبنوته عندما تكون موضع شك. فاذا تنازع اثنان على أبوة طفل ما، فان نتيجة التحليل لدم الأم والطفل وهذين المتنازعين قد تسفر إلى أن أحدهما لا يمكن أن يكون أباً

للطفل ، ويؤخذ من استبعاده أنه ابن للثاني ولكن تحليل الدم لا يؤخذ منه أبداً بأن الثاني أب لهذا الطفل . فهو لا يثبت الأبوه ولعل الجدول التالي يفسر لنا سر ذلك.

نوعا الدم للوالدين	النوع المحتمل توارثه في الأبناء
صفر × صفر	صفر
صفر × ا	صفر ، ا
صفر × ب	صفر ، ب
ا × ا	صفر ، ا
ا × ب	صفر ، ا ، ب
ب × ب	صفر ، ب
ا × اب	ا ، ب ، اب
ب × اب	ا ، ب ، اب
اب × اب	ا ، ب ، اب

وليست هذه الأنواع على درجة واحدة من الانتشار . فالنوع (ا) أكثر انتشاراً في غرب أوربا عن شرقيها ، في حين أن النوع (ب) على عكس (ا) تماماً وأقل منه انتشاراً. وقد يستدل من نسب وجود هذه الأنواع على تدعيم الفرض القائل باختلاط الشعوب البدائية ، في عصور ما قبل التاريخ كما يسترشد بها كأحد الشواهد في تعيين مراكز هجرات هذه الشعوب . فالنوع (ا) تفوق نسبته نسبة النوع (ب) في الشعوب التي تعيش بين روسيا الغربية والصين واليابان . أما نسبة النوع (ب) فهي تتفوق في الهند، وفي شمال الصين ومنشوريا . هذا وبين معظم الزنوج وسكان الملايو malaysians ، والهند الأقصى نجد أن نسبة النوع (ا) تكاد تكون مساوية لنسبة النوع (ب) وتكاد تتساوى مع نسبة النوع صفر .

أما الشعوب التي تظهر فيها نسبة النوع صفر عالية فوق النسب الأخرى فهي الشعوب المنعزلة أو سكان الجزر النائية مثل جزر الفلبين ، ومثل زنوج بتشوانا ، وسكان استراليا الأصليين .

وقد وضعت نظريات عديدة لتعليل هذا التعدد في أنواع الدم الانساني . ومن بينها نظرية تفترض أن النوع صفر هو النوع الأصلي البدائي لدم الانسان ، وأن النوعين (ا ، ب) ظهرا ، كصورتين من صور التحول الفجائي ، أو ما يسمى في الوراثة

mutation — (ا) في أوربا ، (ب) في الهند وبامتزاج الأجناس ظهر النوع (ا ب) في السلالات الناشئة ولكن فساد هذا الفرض تظهره حقائق مناقضة .

على أن البحوث التي يقوم بها علماء الانثروبولوجيا (علم الانسان) تؤدي الى رأي هام وهو أن هذه المظاهر أو phenotypes إن هي إلاَّ نتيجة للعوامل الوراثية الموجودة فيما يسمى genes على الكروموسومات في الخلايا . وهو مما تصعب دراسته في الوقت الحاضر .

وقد أدى البحث الحديث الى اكتشاف مجموعات أخرى للدم ، لا علاقة لها بالمجموعات ا ، ب ، ا ب ، صفر .

فقد اكتشف العامل (م) M والعامل (ن) N كصفتين من الصفات الوراثية التي تتوارث مستقلة عن (ا ، ب) . أما التجربة التي أدّت الى كشف هذين العاملين فأساسها حقن الأرنب بدماء مختلفة ، وبحث ما يسفر عنه التفاعل في مصل الأرنب . وقد وجدت اختلافات في تفاعل المصل باختلاف نوع الدم المحقون .

وقد اكتشف حديثاً عامل آخر يسمى Rh في تجربة حقن فيها أرنب بدم القرد المسمى Rhesus monkey ، كان التفاعل الحادث هو أن مصل الأرنب كوّن مادة مضادة anti-Rhesus body ومن خصائص هذه المادة أنها ترسب الكرات الحمر للقرد Rhesus ثم وجد بعد ذلك أن هذه المادة المضادة ترسب الكرات الحمر لِـ ٨٥ ٪ من الناس (ذوي البشرة البيضاء) ولذلك سموا Rh-positive الايجابي أما الـ ١٥ ٪ الباقون ممن لا يترسب دمهم بهذه المادة فسموا Rh-negative السلبي

وفي ظروف متماثلة يتفاعل مصل الناس من النوع الثاني Rh-negative التفاعل المماثل لتفاعل الأرنب . فاذا نقل الى دم مريض من هذا النوع دم من النوع الايجابي ، فقد يكون المريض المادة المضادة في مصله وقد تجلط هذه المادة كراته الحمر ، وتودي بالحياة . كذلك إذا حملت امرأة من ذات الدم السلبي Rh-negative وكان لجنينها دم من النوع الايجابي الذي توارثه عن أبيه فقد تتكون المادة الممتادة في مصلها . وهذا يحدث لحسن الحظ بنسبة $\frac{١}{٣}$ من أحوال الحمل الذي توجد فيه مجموعات . Rh

وليس لهذه المادة تأثير ما على الأم ، ولكنها تؤثر في الجنين وقد تجلّط كرات دمه ، وفي حالة ما يكون التأثير هيناً فقد يولد الجنين ولكنه يصاب بفقر الدم ، وقد وجد أن مثل هذه الحالة تعالج بعملية نقل دم من النوع السلبي الى دم الطفل .

وحدة القصيدة

في الشعر العربي

للأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي

ما معنى وحدة القصيدة ؟

١ — نقرأ معلقة امرىء القيس : قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل » ، ولامية مروان بن أبي حفصة : « طرقتك زائرةً فحيِّ خيالها » ، ورائية ابن الجهم :

عيون المها بين الرصافة فالجسر   جلبنَ الهوى من حيث أدري ولا أدري

ونهج البردة لشوقي : « ريم على القاع بين البان والعلم » .

فنجد ألواناً شتى من الأغراض ، وتبايناً في الشاعرية حيال كل غرض ، واختلافاً واضحاً في كل قصيدة في الشعور والعاطفة والخيال .

٢ — ثم نقرأ قصيدة أبي تمام في فتح عمورية ، أو قصيدة ابن الرومي في رثاء ولديه ، أو مرثية أبي العلاء : —

غير مجدٍ في ملتي واعتقادي   نوحُ باكٍ ولا ترنّمُ شاد

أو نونية ابن زيدون ، أو تائية ابن الفارض الكبرى : —

سقتني حُميّا الحب راحةُ مقلتي   وكأسي مُحيّا مَنْ عن الحسن جلّت

أو قصيدة البديع في وصف الأسد :

أفاطم لو شهدت ببطن خبت   وقد لاقى الهزبر أخاك بشراً (١)

---

(١) مقامات البديع ص ٤٤٨ — ط ١٩٣٢ — المقامة البشرية

أو قصيدة شوقي « الحرية الحمراء » : —

في مهرجان الحق أو يوم الدم   مهج من الشهداء لم تتكلم

أو قصيدة الزهاوي : « روض الشعر » (١) أو قصيدته : « عند الفراق » (٢)
نقرأ هذه القصائد وما شابهها ، فماذا نجد ؟

نجد وحدة في الغرض ، واتفاقاً في الشاعرية ، والتئاماً في العاطفة والخيال والفكرة. وتبدو القصيدة كأنها عمل فني كامل ، لا نقص ولا تشويه ، ولا غموض أو التواء .. ونقف أمام الجمال الفني الآخاذ ؛ يضيء ويسحر : كما يضيء الفجر ، ويسحر البدر ؛ ويروع ويعبق روعة السحر ، وعبق الزهر .

هكذا نشعر من أعماق قلوبنا وأذواقنا بالوحدة في القصيدة ، والجمال في الفن .

٣ — فلسنا نريد بوحدة القصيدة أن تكون تعبيراً متميزاً ، في فكرة واحدة ، قد أتى بها لغرض واحد .. إنما نريد مع ذلك كله تلك الوحدة الفنية التي يجب أن تسود القصيدة كلها ، بما تشتمل عليه من شاعرية وخيال وعاطفة وأسلوب . حتى تشعر بروح الشاعر في قصيدته ؛ وترى ذكاءه وبراعته في التوفيق بين الصور والأشكال والظلال والألوان ، وحذقه في ايقاظ الحياة والروعة في ألفاظه وأساليبه ، وأفكاره ومعانيه ، وعواطفه وخيالاته . حتى لتنطق الصورة ، وتتحرك الحياة فيها ، وتمشي الوحدة في أجزائها ، ويسودها الانسجام والنظام والالتئام ؛ كما تجد في وصف البحتري لايوان كسرى ، وفي مرثية البحتري للمتوكل ، وفي وصف شوقي لقصر «أنس الوجود» ، وفي آثار أخرى في شعر كثير من الشعراء في القديم والحديث ... وقد أشاد الأدباء المعاصرون بابن الرومي وشعره ، لهذه الوحدة الفنية النادرة في قصائده وأوصافه .

إننا نمزج في وحدة القصيدة بين الوحدة الفنية ووحدة الفكر ووحدة الموضوع أو الغرض كما يقال . ونرى ذلك كله لازماً لاستيفاء القصيدة حظها من الانسجام والجمال ... والذين يتحدثون عن وحدة الأغراض الشعرية وحدها في القصيدة حين يتحدثون عن وحدتها ، إنما ينظرون الى أظهر عناصر الموضوع فحسب ، وإن كان اتحاد الشاعرية أدق ما في وحدة القصيدة من عناصر وحقائق .

وحول الوحدة الفنية للقصيدة يقول صاحب كتاب « ثورة الأدب » : « ليس

---

(١) ديوان الزهاوي ص ٢٥٨ — ط ١٩٢٤ (٢) المرجع نفسه ص ٣٤٤

القصد من الشعر في رأينا هو محاكاة الأقدمين ، إنما القصد من الشعر إبراز فكرة أو صورة أو إحساس ، أو عاطفة يفيض بها القلب ، في صيغة متسقة من اللفظ ، تخاطب النفس ، وتصل الى أعماقها ، من غير حاجة الى كلفة أو مشقة » (١)

وحول هذا المعنى الذي أردناه من وحدة القصيدة يدور الحاتمي الأديب الناقد المتوفي ٣٨٤ هـ ، إذ يقول(٢) : « مثل القصيدة مثل الانسان ، في اتصال بعض أعضائه ببعض ، فنى انفصل واحد عن الآخر ، وباينه فى صحة التركيب ، غادر الجسم ذا عاهة ، تتخون محاسنه ، وتعفي معالمه » . ويصف عمل الشعراء المجيدبن ، من متقدمين ومحدثين ، فى هذه الناحية ، فيقول : « وقد وجدت حذّاق المتقدمين ، وأرباب الصناعة من المحدثين ، يحترسون في مثل هذا الحال احتراساً يجنبهم شوائب النقصان ، ويقف بهم على محجة الاحسان ، حتى يقع الاتصال ، ويؤمن الانفصال ؛ وتأتي القصيدة في تناسب صدورها وأعجازها ، وانتظام نسيبها بمديحها ، كالرسالة البليغة ، والخطبة الموجزة ، لا ينفصل جزء منها عن جزء ... وهذا مذهب اختص به المحدثون ؛ لتوقد خواطرهم ، ولطف أفكارهم ، واعتمادهم البديع وأفانينه في أشعارهم . وهو مذهب سهلوا حزنه ، ونهجوا دارسه » .

والحاتمي في شرحه هنا لوحدة القصيدة ممتع مجيد : ولكنه يرى أن اتصال الغزل بالمديح في القصيدة لا يمنع وحدتها ، مادام هذا الاتصال قويًّا شديداً . فكأنه لا يرى تعدد الأغراض في القصيدة مانعاً من وحدتها . وهذا ما نخالفه فيه ، ولا نقره عليه .

نظام القصيدة في الشعر العربي القديم

نرى أشهر القصائد الجاهلية قد بدئت بالنسيب العذب الجميل ، ثم يتصل فيها النسيب بذكر الناقة ووصفها وجوب الفلوات عليها ؛ وقد يلم الشاعر بوصف ما يشاهد في الصحراء من أسراب الوحش والظباء ثم يتخلص إلى غرضه المقصود ، من مدح أو هجاء ، أو فخر ، أو عتاب ، أو اعتذار ، أو حكمة .

يظهر ذلك النهج الجاهلي في المعلقات ، وفيما سواها من كبريات القصائد وعيونها ، في هذا العصر البعيد .. ولا نجد شاعراً يشذّ عن ذلك إلاّ عمرو بن كلثوم التغلبي في معلقته

---

(١) ثورة الادب للدكتور هيكل ص ٦٠

(٢) زهر الآداب جزء ٣ ص ١٦ — نشر زكي مبارك

المشهورة : « ألا هبي بصحنك فاصبحينا » ، فقد بدأها بوصف الراح ، ثم وصل ذلك بغزله ونخره ووصف وقائع قومه وذكريات مجدهم القديم الحافل ... وهناك قصائد ثلاث من الشعر الجاهلي تمتاز بخلوها من تعدد الأغراض :

أولاها – قصيدة المرقش الأكبر .

سرى ليلاً خيال من سليمى　　فأرّقني وأصحابي هجود (١)

فهي وقف على الحب والغزل ووصف الجمال .

والثانية – قصيدة لامية لطرفة العبدي ، مطلعها : —

أتعرف رسم الدار قفراً منازله　　كجفن اليماني زخرف الوشى ماثله

فهي كذلك وقف على الغزل .

والثالثة – قصيدة تأبط شراً الشاعر الجاهلي المشهور : —

إن بالشعب الذي دون سلْع　　لقتيلاً دمه ما يطل (٢)

وهي في الرثاء ، وقد ترجمها « جوته » الى الألمانية ، ونشرها في الديوان الشرقي ، ونقلت الى الفرنسية والأنجليزية والايطالية ، ويسميها بعض المستشرقين « نشيد الانتقام » وهي نمط جميل مهذب لوحدة القصيدة في الشعر الجاهلي ؛ وشتان بينها وبين قصائد الرثاء في هذا العصر السحيق . وحسبكم أن شاعراً أراد أن يرثي أخاه فبدأ قصيدته بالنسيب ، ثم خلص الى الرثاء ، وهو دريد بن الصمة القشيري الشاعر في قصيدته الدالية : —

أرثّ جديد الحبل من أم معبد　　بعاقبة أم أخلفت كل موعد

هذا هو نظام القصيدة في العصر الجاهلي : تعدد في الأغراض والفكرة ، وانتقال من لون من ألوان الشعور الى لون آخر . وقد يفاجىء الشاعر سامعيه مفاجأة ، فيتخلص من غنائه إلى التنويه بممدوحه فجأة ، كما صنع زهير في رائيته في مدح هرم بن سنان ، فقال بعد أن ذكر الديار :

دع ذا وعدّ القول في هرم　　خير البداة وسيِّد الحضر (٣)

وقد يتخلص الشاعر في رفق وجمال إلى غرضه ، كما فعل النابغة في قصيدته العينية التي

---

(١) الحياة الادبية في العصر الجاهلي ص٢٥٣ — محمد خفاجى — ط ١٩٤٨

(٢) الشعب : طريق في الجبل موضع سلع : موضوع وهو أرض قوم الشاعر . طل دمه : ذهب هدراً لا يثأر به .

(٣) جمع حاضر كراكب وركب .

يعتذر بها إلى النعمان بن المنذر ، حيث ذكر عبراته ودموعه ومشيبه ، ثم خلص إلى الاعتذار فقال : —

ولكن هما دون ذلك شاغل   مكان الشُّغاف تبتغيه الأصابع
وعيدُ أبي قابوس في غير كنهه   أتاني ودوني راكس فالضواجع

ثم وصف حاله عند ما سمع وعيد النعمان ، فقال : —

فبت كأني ساورتني ضئيلة   من الرقش في أنيابها السمُ ناقع
يُسهدُ في ليل التمام سليمها   لحلى النساء في يديه قعاقع (١)

ثم خلص إلى الاعتذار ، وهو الفن الذي نبغ فيه وشهر به فقال : —

أتاني – أبيتَ اللعن – أنك لمتني   وتلك التي تستك منها المسامع

وهذا من لطف التخلص ، « ولو (٢) توصل إلى ذلك بعض الشعراء المحدثين ، الذين واصلوا تفتيش المعاني ، وفتحوا أبواب البديع ، واجتنوا ثمر الآداب ، وفتحوا زهر الكلام ؛ لكان معجزاً عجباً ؛ فكيف بجاهل بدوي ، إنما يغترف من قليب قلبه ، ويستمد عفو هاجسه كما يقول الحاتمي الناقد القديم .. وهذا اللطف في التخلص لا نعني به لأنه يمنح القصيدة الوحدة الشعرية ، ولكننا نتحدث عنه لوناً من ألوان فطنة العرب في المعاني والأداء ، ولأنه كان تمهيداً لهذه الوحدة التي هي موضوع بحثنا . ويقول ابن رشيق في العمدة : وكانت العرب لا تذهب هذا المذهب — أي حسن التخلص — في الخروج إلى المدح ، بل يقولون عند فراغهم من نعت الابل ، وذكر القفار ، وما هم بسبيله : «دع ذا وعد عن ذا» ؛ ويأخذون فيما يريدون ، أو يؤتون بانَّ المشددة» ابتداء للكلام الذي يقصدونه .. ولربما قالوا بعد صفة الناقة والمفازة : إلى فلان قصدت، وحتى نزلت بفناء فلان ، وما شاكل ذلك. فاذا لم يكن خروج الشاعر إلى المدح متصلاً بما قبله ، ولا منفصلاً بقوله « دع ذا وعدِّ عن ذا ونحو ذلك » ، سمي طفرة وانقطاعاً (٣) .

هذا هو نهج القصيدة عند الجاهليين ، ويقول الحاتمي في ذلك : فأما الفحول الأوائل

---

(١) راجع العمدة لابن رشيق جزء ١ ص ١٥٨ وزهر الآداب جزء ٣ ص ١٦
(٢) زهر الآداب جزء ٣ ص ١٧
(٣) العمدة جزء ١ ص ١٥٩

ومن تلاهم من المخضرمين والاسلاميين فمذهبهم أن يقولوا «عدِّ عن كذا إلى كذا»، وقصارى كل أحد منهم وصف ناقته بالعتق والنجابة والنجاء، وانه امتطاها فادّرع عليها جلباب الليل، وربما اتفق لأحدهم معنى لطيف يتخلص به إلى غرض لم يعتمده، إلاّ أن طبعه السليم، وصراطه المستقيم، قد نفى بتّاره، وأوقد باليفاع ناره (١)»

وقد تعصّب كثير من النقاد وعلماء الأدب، لهذا النهج الجاهلي، الذي لا يمتّ إلى وحدة القصيدة بسبب، ودافعوا عنه دفاعاً حاراً. يقول إبن قتيبة المتوفي ٢٧٦ هـ(٢): «وسمعت بعض أهل العلم يقول: إن مقصد القصائد إنما ابتدأ فيها بذكر الديار، والدمن والآثار. فشكا وبكى، وخاطب الربع، واستوقف الرفيق، ليجعل ذلك سبباً لذكر أهلها الظاعنين عنها، إذ كان نازلة العمد في الحلول والظعن على خلاف ما عليه نازلة المدر، لانتجاعهم الكلأ، وانتقالهم من ماء إلى ماء، وتتبعهم مساقط الغيث حيث كان. ثم وصل ذلك بالنسيب، فشكا شدة الشوق وألم الوجد والفراق وفرط الصبابة، ليميل نحوه القلوب، ويصرف اليه الوجوه، ويستدعي به إصغاء الأسماع إليه، لأن النسيب قريب من النفوس لائط بالقلوب، لما قد جعل الله في تركيب العباد من محبة الغزل وإلف النساء، فليس يكاد يخلو أحد من أن يكون متعلقاً منه بسبب، وضارباً فيه بسهم. فاذا علم أنه قد استوثق من الاصغاء إليه، والاستماع له، عقب بإيجاب الحقوق، فرحل في شعره، وشكا النصب والسهر، وسرى الليل، وإنضاء الراحلة والبعير، فاذا علم أنه قد أوجب على صاحبه حق الرجاء، وزمام التأميل، وقرر عنده ما ناله من المكاره في السير بدأ في المديح، فبعثه على المكافآت، وهزّه على السماح.. فالشاعر المجيد من سلك هذه الأساليب، وعدّل بين هذه الأقسام».

وابن قتيبة هنا لا يبرر هذا النهج لأنه هو الحق في ميزان الأدب والنقد، ولا لأنه هو الصورة المثلى للقصيدة الجاهلية، ولا لأنه سبب من أسباب الروعة والجمال في الشعر والقصيد، ولكن إنما يبرره لأنه نهج الجاهليين فحسب.

وهكذا يفهم كثير من النقّاد القدامى النهج الفني للقصيدة، ووحدة القصيدة في الشعر العربي. وهو فهم لا يخلو من عصبية وجور.

[يتبع]

---

(١) زهر الآداب جز٣ ص١٦

(٢) الشعر والشعراء لابن قتيبة ط ١٩٣٢ ص ١٤و١٥

قصة

الصابرون

للاستاذ شكري شعشاعة باشا

كان سالم الربيع لايعرف لدنياه سوى هذه القطعة من الأرض ، يحرثها بذاته إذا جاء موسم الحرث ، ويحصد زرعها بذاته كذلك إذا جاء موسم الحصاد ، ثم ينام فلا يستيقظ إلا على وجه الشتاء .

ولكن حياته الفطرية هذه تلوّنت أخيراً بطارىء لم يلمّ به أو يلمّ بأرضه ، وإنما ألمّ بأرض جاره ، ولم يك ذلك لأنها انتقلت الى يد جديدة على غير توقع ، وإنما كان ذلك لأنها انتقلت الى يد شخص من هؤلاء المدللين الأعزاء على الظروف ، فهمّه ألا يكون هذا الجار الجديد من أمثاله ، ثم أن تضيع على هذا النحو ارض من العشيرة .

وتعاقبت الأيام وهو يعيش على شيء من التشاؤم . ثم كان يوم فاذا هو يستقبل في بيته رسولاً وجيهاً ينهي اليه رغبة جاره في أن يبتاع منه ارضه . ونحن نصغي فنسمعه يقول لهذا الرسول : —

« لو أني أملك غير هذه الأرض لتقربت بها ، ولكنها دنياي جميعاً ودنيا هؤلاء الأطفال من بعدي . وأحسب صاحبك يقدّر ويعذر » .

ورأى أن يتشاغل فمال الى جراب بين يديه فيه شيء من التبغ ، فجعل منه لفيفة ثم أخذ يدخنها وباله يطوف حول أرضه . إنها ليست بالشيء الذي يباع وأطفاله يعيشون ، هي تراث عريق منذ أيام الفاتحين ، وعليه كما ورثها من أجداده أولئك أن يورثها أبناءه هؤلاء من بعده .

طاف هذا بباله في ساعته تلك وهو بين يدي محدثه ذاك يجاص وقوراً ، وربما كان مع

ذلك ساخراً يضحك في سره من هذا الطمع لايشبع أهله . وكم اضحك الفقر من الغنى شره لا يحس إلا نفسه . !

ونحسب رسول الجار نفسه كان يعيش على شيء أو أشياء من مثل ما كان يعيش عليه سالم ، فقد كان يعرف أن ليس هناك ما يحمي الضعفاء إن شاءوا استمساكاً بحق أو دفاعاً عن حق ، فما يملكون وما يكسبون ينبغي أن يؤول الى هذه الطائفة الرائجة من الناس . ولو كان ذلك من السبل التي لا تعرف الضوء .

كان يعرف هـذا كله ، ويعرف أكثر منه ، كان يعرف روح الشعب الغبية تنام على الفقر والبؤس ، ولاتفكر في حق وتسأل عنه ، ذلك بأنه لم يك بعيداً عن « المسرح » فقد كان له دور يقوم به مع الممثلين حين يمثلون ، ودور مع المصفقين الهاتفين حين يصفقون ويهتفون . وكان له من أجل هذه الشطارة فخر في تخطيط سبل الازدهار في البلد وللبلد .

لسنا نتزيد إذن أو نبالغ حين نتصور أنه كان يضحك في مجلسه ذاك من هذا الفلاح الساذج،ثم من صاحب السعادة موفده ثم من نفسه : يضحك من سالم وقد رآه بما اعتذر يحسب نفسه قادراً على أن يستمسك بأرضه ، ويضحك من صاحب السعادة وقد رأى طمعه في أراضي الضعفاء يكاد يجري في سرعة النور . ويضحك من نفسه ، إنه كالصياد المسخّر يلقي بشبكته وهو يعلم أن ليس له من حظ فيما يصطاد .

ومهما يكن من أمر هذا الرسول الوسيط فانما يعنينا أن نقف على جوابه . قال يرد على سالم : —

« إنك لتخطىء أكبر الخطأ برأيك هذا ، بل وتتعب نفسك وتحرمها من حظوظ قد تتاح لك حين تستجيب لرغبة جارك ، فأنت تعلم بصلته ممن تعرف سلطانه، وتعلم بما أعطته هذه الصلة من قدرة على أن يؤلب عليك ، فلا يلقاك الجندي إلا عابساً ، ولا يلقاك الضابط أو يلقاك الحاكم أو أي من الأعوان إلا متجهماً ، فتتعثر خطاك حتى عند شيخ العشيرة وتصبح فلا تستطيع قضاء حاجة من حاجاتك . أما إذ تقبض ثمن أرضك فأنت إذن قادر على أن تعيش كأعز انسان في العشيرة ، وقادر على أن تتزوج في أي وقت تريد ، وممن تشاء من هؤلاء الصبايا ذوات العيون الفاتنـات عندكم ، فما زوجتاك هاتان بشيء . ثم أنت قادر على أن تستبدل بهذا البيت المتهدم بيتاً جديداً ترفع رأسك عنده ، وتدل بهذه البسط والطنافس الجديدة، تبتاعها من المدينة وتبسطها فيه للضيوف .

« ما أنا غير ناصح يريد لك الخير ، فاسمع لما أقول ولا تجعل فرصة العمر تضيع عليك

وبادر فاشتر بثمن الأرض بعض المواليد من الغنم ، واعهد بها الى ولد من أبنائك يرعاها عند أطراف المياه حيث العشب الكثير ، فان فعلت ، بلغت أرباحك منها أضعاف ما يأتيك من غلة أرضك هذه التي كانت منذ القرون الوسطى ، وما زالت تزرع ولا تستريح .

« ثم لا تنس مزية القربى من جارك الجديد ، فأنت تعلم بأنها شيء عزيز يتمناه الشيخ نفسه ، ولا شيء يمنعك من أن تنال مثل هذا الحظ عنده متى شئت » .

وإذ فرغ مما أراد أن يزين للرجل رآه يرفع رأسه ويتجه اليه بنظره وهو يقول فيما رد عليه :

« سمعت منك ، ولقد كان بي أن آخذ برأيك الى ما ذكرت من هذه الحظوظ الطيبة لو أني استطعت أن أحلها من قلبي محل أرضي على صغرها وقلة جدواها . وما أخفي عليك فقد كنت أصغي اليك وكان في صدري شيء يحدثني معك بما يربطني بها منذ أزمان تتصل بآبائي الأولين ، وإلى أزمان تمضي مع أبنائي الحاضرين ثم تستقبل أحفادي القادمين . وإذا كان لي من رجاء شاكر فانما هو أن توفر عليّ وعليك » .

كان ذلك في عشية من عشيات الغور الحالمة ، وكان قد بقي في نفس سالم الربيع شيء من حديث ضيفه ، فكان يتلفت نحو هذا الشيء بأفكاره يرسلها تحوم حائرة كالطير ضلت أوكارها ، وكلما تقدمت العشية واشتد الغسق ، هاجها الشوق إلى الاتجاه الصحيح.

ولكن الماضي لا يتركنا أبداً ، فنحن حين تجز بنا الأيام أو نقف على مفرق الطريق نراه ينبعث في خواطرنا حيًّا ومن تلقاء نفسه ، فيتمثل لنا سعيداً أو شقيًّا ، ويتحدث الينا محرضاً أو منذراً ، وكالأطياف على الشاشة البيضاء نشهده يتحرك في مواكبه المثيرة .

واستطاع سالم في ليلته تلك أن يرى آباءه الماضين ، وأن يعايشهم فيتحدث اليهم ويتحدثون اليه ، ويفهم عنهم ويفهمون عنه ، وان يتحسس منهم ذلك العيش الذي كانوا يعيشون عليه ، فيجده على بساطته تلك كان وديعاً راضياً مطمئنًّا ، وليس فيه هذا القلق الذي يعيش عليه الناس في يومه . وما أوهن الليل إلاّ قليلاً حتى كان قد عاد الى نفسه على هدى الأشباح.

وتمضي الأيام فاذا صاحب السعادة وعقيلته ينزلان على شيخ العشيرة ضيفين عزيزين ، وإذ يجيء أوان الطعام وتبسط المائدة السخية لا يمدان اليها يداً وانما يعلنان أن لهما حاجة عرضت ، وإن قضاءها عند الشيخ ، فان هو فعل ، اكلا من طعامه وشكرا له صنيعه. ولم يكن للشيخ من سبيل إلاّ أن يستدعي سالماً ، وإلا أن يطلعه على ما كان ثم

يطلب اليه أن يمتثل فيلبي رغبة ضيفه ، ولكن الرجل كان قد ركب رأسه فلم يذعن أو يقدر موقف الشيخ فأغضبه أشد الغضب ، وكان إن تعرض لأقبح الكلام وألدّ الخصومة ، ثم لم يجد الشيخ لنفسه مخرجاً إلاّ أن يعلن ضمانه لما يريد ضيفه .

على هذا كان علاج الموقف ، فلا هو صار الي اليأس القاطع ، ولا إلى الأمل المطمئن المستبشر . ومع ذلك فعند ما غادر الضيفان مكانهما ، كانا قد وضعا صرة من النقود تحت حشية كانت تجلس عليها العقيلة .

ولكن الأيام تمضي على ما كان ولا يصل من الشيخ نبأ ، فيسوء فيه الظن ثم يفد عليه من يقول : « نسيت العقيلة عندكم صرة من النقود » فتؤدي اليه وينصرف .

هنا ظن الشيخ وظن سالم الربيع ، بل لقد ظنت العشيرة أن الأمر قد انتهى عند حده ذاك ، لولا ما حدث من بعد ، فلقد سمع الناس أن شجاراً عنيفاً قام بين سالم الربيع وعامل من أعوان صاحب السعادة ، وسمعوا أن الأول منهما اعتبر مذنباً معتدياً ، واعتبرت كلمات عزيت اليه وعيداً وتهديداً ، وإن قانون منع الجرائم جاء فنطق بسجنه.

كل زمان ينقضي وإن طال كما انقضت مدة صاحبنا في السجن ، غير أن شيئاً من الأثر القليل أو الكثير يبقى في النفس ، وقد يتغلغل في أعماقها من كل ما يرى الانسان في دنياه من خير أو شر ، من نصفة أو جور . ولعل حكمنا على الأشياء أو تلقينا لصور الأشياء يتكيف ويصطبغ بألوان هذه الرواسب في أعماق نفوسنا .

ومهما يكن من أمر سجنه طويلاً كان أو قصيراً ، فنحن نستقبل معه فصلاً آخر ، وفي هذا الفصل نراه وقد نسبت اليه أقوال أخرى يذيعها بين الناس وتخل بالأمن الداخلي ، وليس غير قانون النفي والابعاد يتولى أمره ، فنسمع أنه اعتقل ثم نسمع أنه نفي الى مكان في أقصى الاقليم .

كان موسم الزراعة قد جاء . ولكن أين هو من أرضه ؟ وكان قد اشتد العوز على عيلته ، ولكن أين هو منها ؟ ثم انقضى الشتاء بلياليه وأطيافه وأحلامه ، وما كان للرجل إلاّ أن يذعن فيعود الى أهله ، ولقد فعل فاستجاب فعاد ، ولكن كما يعود الطريد يتقي الكلام ويلتف بالصمت . ثم تلتفت العشيرة في الغداة فلا تجد لسالم الربيع ولا لبيته من أثر غير الاطلال .

عمان — المملكة الاردنية الهاشمية

نظرات في النفس والحياة

— ٢٩ —

تابع نظرات السير أرثر هلبس

للأستاذ ع . ش

(٢٥) انك قلما ترضى رجليك إذا مدحت كلاً منهما مدحاً مساوياً لمدحك الآخر بلا فرق ولا تمييز لأن طالب المدح انما يريده كي تكون له ميزة على غيره .

(٢٦) كما أن بعض الناس يرغب في الرذائل لأن سبيلها سهل موطأ فكذلك يرغب آخرون فيها بسبب العوائق التي تعترض سبيلهم فتشهيهم مكافحة العوائق وتجعلها محبوبة لديهم .

(٢٧) قد يحترم الناس الرجل الذي يدوس عواطفهم ويؤلم احساساتهم إذا وجدوا أنه لا يتحرج من يدوس عواطف نفسه وان يؤلم إحساساتها. أما الرجل الذي يؤلم إحساسات غيره كي يرضي إحساسات نفسه وعجبها فانه لاينال إلاّ المقت والاحتقار في صميم نفوس الناس، ولو أن بعض المعجبين يستهوون الناس بعجبهم وغرورهم فيخضع لهم الناس فترة طالت أم قصرت .

(٢٨) كثيراً ما يكون احترام المحب للمحبوب من رماد الحب بعد فنائه وكثيراً ما يلتجيء اليه المحب الذي فنى حبه كي يخفي به فناء الحب فيحسب الناس دليلاً عليه لما قد يجدون منه في الحب ولكنه قد يكون من ندم المحب إذا فنى حبه .

(٢٩) من الخطأ أن يقال إن الانسان لا يستطيع أن يعرف نقائص نفسه فانه كثيراً مايعرفها ولكنه يسميها اسماء أخرى خداعاً للناس وتضليلاً لهم ولنفسه وهو يعوضهم عن ذلك الخداع المضلل بأن يبادر بتسميتها بأسمائها الحقيقية إذا لاحت له في غيره، أو إذا حسب أنها لاحت له . أو إذا اتهم بها غيره بحق أو بغير حق .

(٣٠) لاتحسب ان المصيبة تمحق كبر الرجل المتكبر إذا حلت به بل إن كبره لا يزال به موجوداً وقد يتخذ أشكالاً وألواناً أخرى وينتهز فرصة لاستعادة شكله الأول .

(٣١) لقد صدق باسكال العالم الرياضي الفرنسي إذ قال اننا نعطف على من كان به اعوجاج في قدمه بسبب عاهة ولكننا لا نعطف على من كان به اعوجاج من فكره، لأن الأول لا بد أن يعترف إذا مشى باعوجاج قدمه أما الثاني فانه ينكر اعوجاج فكره ويحاول أن يثبت اننا على اعوجاج في الفكر — ومع صحة رأي باسكال ينبغي ان لا نعنف مع صاحب الرأي المعوج وان نعطف عليه وان نعتقد أن ذلك من آفة في عقله كآفة القدم المعوجة أو كآفة الصمم أو البكم وان نتذكر اننا أيضاً كثيراً ما يدفعنا التحيز والتشيع إلى الحكم بالباطل فيظهر اعوجاج فكرنا بالتحيز أو العاطفة وان كنا نأبه له.

(٣٢) إن للفكر أخذة ومن أجل ذلك صار العلماء حتى الأفاضل منهم لا يتحرجون من تضليل قرائهم وتضليل نفوسهم كي يثبتوا صواب فكرهم في أثناء بحثهم إما من شغفهم باثباته وإما النيل المدح من الناس ولكن سوء استعمال القوة الفكرية مكروه مثل سوء استعمال القوة البدنية وهم إذا وصلوا بعد ذلك إلى الصواب فهذا الصواب يكون مثل الممالك التي نزورها في الاحلام وقد نعرف أننا في أحلام إذا فكرنا في طريق الرحلة اليها (وهذا كما في قصة الباحثين عن المكروب) وإذا كان هذا شأن العلماء الأفاضل في البحث العلمي فهو أحرى أن يكون شأن الناس عامة في حياتهم اليومية.

(٣٣) إن أهل الاستكانة تعوزهم الجرأة على طلب حقهم فاذا لم تقم أنت لهم بكل حقهم ركبت الشطط في معاملتهم وسهل عليك الظلم واغتصاب حقوق الناس والرغبة في استثمار جهودهم بأقل مما يقتضيه العدل إذ قد تعد استكانتهم دليلاً على نيل ما يستحقون، ولا أمر يتلف صحة رأي المرء في العدل مثل العيش بين اهل الاستكانة فاذا عاش بين غيرهم بعد ذلك ظهر ظلمه ودهش لظهور ظلم لم يكن يعتده ظلماً.

(٣٤) يقولون إن الكذب لا يصدق ولا يقبل لأنه لا أساس له ولا قوة فيه ولكن لكل كذبة وقت وميعاد وهوى في النفوس ولا يمنع من تصديقها أنها لا أساس لها وقد تكون لها قوة شر كبيرة مستمدة من قوة من يؤمن بها — : (وهذا يذكرنا قول ثاكري إن الكذب قد يكون أصغر من النقطة ولكنها مع ذلك كالنقطة السائرة التي تحتل مكاناً كبيراً وترسم خطاً طويلاً).

(٣٥) قد يكون اليأس كالنوم يجدد قوى النفس والفكر ولكنه إذا صار عادة ونيراً أصبح شللاً لهما.

(٣٦) كثيراً ما يؤدي الندم إلى اليأس من أداء الخير مع أن المفروض انه ينبغي ان

يؤدي إلى معاودته والتزامه وإنما يؤدي إلى اليأس من أداء الخير لأنه يحسب أن ما جناه من الشر دليل على حياته كلها فيكون مثله مثل من يدع النقطة من السائل الأسود تغطي على جميع ثوبه بدلاً من تلافيها من أول سقوطها ، أو كمن يجد صخرة في النهر أو عكارة في نقطة في جزء من الماء فيحسب أنها تدل على الماء كله .

(٣٧) إذا أردت أن تفهم عصرك فاقرأ ما يكتب فيه من القصص فان المرء كثيراً ما يريد أن يخفر نفسه في نفس القاص كي يتمادى في وصف الرذائل وصفاً مغرياً يحببها إلى الناس وهو يزعم أنه ينهاهم عنها .

(٣٨) قد توضح حياة المرء ما التبس في قوله فهوبز الفيلسوف الانجليزي الذي زعم أن الدولة هي كل شيء وان الناس إذ أنشأوا الحكومات أسلموا لها كل حق قد اعترف للورد كلارندون أنه إنما فعل ذلك كي يتحبب الى الحكومة فتسمح له بالعودة من منفاه وريدولفي قد نشر رسائل لماكيافيلي يستعطف فيها بعض الأمراء ويشكو اليهم سوء حاله ويقول فيها إن مبادىء الطغيان التي ذكرها في كتابه (الأمير) إنما ذكرها تزكية لأعمالهم في الحكم وانه من أجل ذلك يستحق أن يعان على أمره بالمال كصدقة وقد زعم كتّاب آخرون أن هؤلاء الكتّاب إنما هالهم انقسام الآراء فرأوا أن للأمراء الحق في توحيدها صيانة للأمن وجلداً للوحدة بأية وسيلة حتى الوسائل العنيفة الشديدة (وذلك هو ما زعم ماكولي في رسالته عن ماكيافيلي) — وربما كان الدافعان موجودين في نفس القائل عند قوله ما ذكر .

(٣٩) إن من قلة العقل أن يرفض المرء كل لطف أو عطف وأن يسيء به الظن لأنه لا يعرف سببه والباعث له فانه يكون كمن يرفض ماء النهر لأنه لا يعرف منابعه .

(٤٠) بعض القواعد الأساسية في الشرائع لا يعمل بها الناس في حياتهم ومعاشرتهم بعضهم لبعض فالمبدأ الذي ينص على أن كل متهم بريء حتى تثبت إدانته لا يعمل به الناس وكذلك المبدأ الذي يشرع أن الشك ينبغي أن يجعل في مصلحة المتهم لا يأخذ به الناس في حياتهم الخاصة فينشأ عن ذلك قلة التسامح ولو عملوا بهما كانوا أقرب إلى التقوى والعدل والتدين.

(٤١) لقد صدق جوتا إذ قال في قصة فوست (إن الذي يصمم على أن يعد غير مخطىء إذا كان ذا لسان ذرب وذلك لأن الطلاقة والمهارة في الكلام قد تهزم قوى ملكات العقل.

(٤٢) إن عمل الشر لا يتوقف على كبر شأن صاحبه ومع ذلك فان الناس كثيراً ما يظنون ان الرجل الحقير لا يستطيع عمل شر كثير حتى وهم متأثرون بما يقول أو ما يصنع من الشر.

تطور الموسيقى في سورية

خلال نصف قرن

— ٢ —

للاستاذ ميشيل الله ويردي

قلنا في مقتطف الشهر الماضي ان طبقة خاصة في بلادنا كانت تتمتع بسماع الموسيقى الجيدة ، ومن أشهر المولعين بها المرحوم محمود البارودي ، فقد كانت داره تغص كل ليلة بالموسيقيين ، كالمرحومين عمر الجرّاح وعبد الله أبي حرب ، ورشيد عرفه ، ومحمود الكحال ، ومحمد الجراح الذي كان أول كمنجاتي مسلم بدمشق وقد كان لهذه الحال تأثير خاص في ولده فخري بك ، فنشأ مغرماً بالموسيقى ، راغباً في نشرها وترقيتها ، وهو أول من أدخل الأناشيد الوطنية على الموسيقى في سورية ، فنظم سنة ١٩١٢ « الى الحرب الى الحرب » ونظم في سنة ١٩١٤ « نحن جند الله شبان البلاد » ومن أغرب الأخبار عن تأثير هذا النشيد ان جمال باشا دعا رجال دمشق الى حفلة في النادي العربي فخطبهم وضرب على وتر العروبة فاهتزت نفوس الشبان وأنشدوا نحن جند الله ، فكانت النتيجة تسريح ضباط المدرسة الحربية بدمشق وارسالهم الى قطعات الجمّالة في البادية بدلاً من الاعتماد عليهم في الجبهات ، وقد أثبت جمال هذه القصة في مذكراته ، إذ قال : « لما ضربت على وتر العروبة تحرك الشبان وأنشدوا نشيداً حماسيًّا دل على الاحساسات العربية الكامنة في صدورهم ، ومن شدة الحماسة والتصفيق ، خلت ان سقف النادي أطبق على رأسي ، فأمرت بتسريح ضباط الدورة الأولى خريجي المدرسة الحربية » وتم تسريحهم فعلاً صباح الحفلة . أما البارودي الذي كان السبب فيما جرى فقد أخذ جزاء عمله ، تكديراً واضطهاداً من السلطة الحاكمة ، وذمًّا وهزءاً من جماعة الناقمين ، بيد أنه لم يثن عن عزمه ، ومما قطعه على نفسه من عهد بنشر الموسيقى وتعزيزها. فلما انتهت الحرب العالمية الاولى ، وتأسست في دمشق حكومة عربية ، نظم فخري بك أناشيد وطنية سارت على كل شفة ولسان ، نذكر منها « بلاد العرب أوطاني » و« أنت سورية بلادي » و« سورية يامهد السلام » واعتبر هذا الأخير

نشيداً وطنياً في عهد المغفور له الملك فيصل الأول وهو من تلحين الأستاذ متري المر وقد طبعه بالنوتة مع كثير من الألحان ، فمنها ما هو حماسي مفرح ومنها ما هو شجي محزن .

وفي خلال هذه المدة أدخل الأستاذ عمر الزعني الأناشيد الشعبية على الموسيقى العربية وأكثرها يهدف الى النقد والاصلاح ، نذكر منها «حاسب يا فرنك» التي كان لها أثر فعال في تهيئة الأفكار الى فك ارتباط نقدنا به ، وقد تبعه كثيرون في هذا الميدان .

ولعل أهم حدث في تاريخنا الموسيقي هو نجاح الحركة التي قام بها فخري بك البارودي لانشاء معهد للموسيقى بدمشق ، فقد دعا الى داره في سنة ١٩١٩ نحو مئة ذات من شباب هذا البلد ومفكريه بعد أن تحدث اليهم ملياً ، ولكن أكثرهم لم يلب الدعوة فأدرك ان الوقت لم يكن قد حان ، ولكنه ظل دائباً حتى تمكن من جمع الهواة في دمشق ، فأسسوا تحت اشرافه نادي الموسيقى السوري سنة ١٩٢٨ . وما زالت أخباره وأعماله حديث الموسيقيين ، فقد بث تأسيسه نهضة فنية تذكر ، وأقبل كثيرون على تعلم النوتة والأنغام والأصول وشراء المؤلفات والألحان من مصر وتركيا ، وقد أحيا ذلك النادي بضع حفلات راقية أولاها على مدرج الجامعة السورية في أوائل سنة ١٩٣٠ فافتتحتها بكلمة طلبت فيها الى الحكومة أن تخصص للنادي أرضاً ومالاً حتى يثبت ويتحول الى معهد عال كما جرى في القاهرة ، ولكن حكومة ذلك العهد قصرت وأخلفت ، ولو فعلت لكان عندنا اليوم معهد نفاخر به وأساتذة متخصصون تحتاج اليهم محطة الاذاعة والمدارس السورية .

وعلى أثر تلك الحركات ، تنبهت وزارة المعارف فأدخلت تعليم الموسيقى على هامش المنهاج الابتدائي وقلنا على الهامش لان التعليم الموسيقي في بلادنا ما زال يسير بشكل غير جدي فلا درجات تعطى على دروسها ، ولا مفتش لها ولا محسين يدخل عليها ، فالتلاميذ يتلقون مبادئها بصورة شبه رمزية ، حتى ان جميع ما بذل من نفقات لهذه الغاية لم يأت بأية نتيجة عملية ، ولعل المعارف لحظت أن مدارسها لم تنجب موسيقياً واحداً لامعاً ، فأخذت تهمل هذا الفن سنة بعد سنة بدلا من الاهتمام به ، والعلاج أن يكتفي في المدارس الابتدائية بتعليم الأناشيد الوطنية والأخلاقية ، وان تنقل بقية نفقات الموسيقى لتأسيس مدرستين ابتدائيتين تختصان بتعليم أصحاب الموهبة مع تأسيس معهد عال يجمع أساتذة هذا الفن مع الهواة لاستكمال ثقافتهم نظرياً وعملياً عندئذ تنجب بلادنا نوابغ ينهضون بالموسيقى ويساهمون في توحيد نهضتها عالمياً ، فتلمس أمتنا خطورة الفوائد التي تجتنى من الاهتمام

بالنواحي الفنيـة ، لأن الفن مقياس رقي الأمم ويسرنا أن نسجل بارتياح وتقدير ان الحكومة الحاضرة وافقت على تأسيس معهد للموسيقى تابع لوزارة المعارف الجليلة ، لأنها أدركت ان الموسيقى عامـل هام في برامج الاذاعـة فهي تجتذب المستمعين الى المحطة التي تضم نجوماً لامعة وتأتي بألحان جميلة ولا يخفى ان محطات أجنبيـة كثيرة شرعت في تخصيص اجزاء من برامجها للموسيقى الشرقية ونشر الدعايات باللغة العربية . وغني عن البيان إن ما يبثه الفن في النفوس من رقة وتهذيب ونظام يتناول كل ناحية من حياة الفرد والمجتمع ، فالأمة الراقيـة فنّـا تنظم شوارعها ومساكنها ، وتعنى بنظافة ملبسها ومأكلها ، حتى يتناول الفن والنظام كل عمل وصناعة ، يصل الى أساليب الحديث والمعاملات فتصبح تلك الأمة محبوبة محترمة، لأن الفن رابطة تؤلف بين الشعوب كما تؤلف بين الأفراد ، فاذا قويت تغلّبت على الأطماع والأهواء .

ولعلّ أهم تطور حدث في تاريخ موسيقى الشرق ، هو عقد مؤتمر الموسيقى العربية في القاهرة منـذ ثماني عشرة سنة ، بفضل جهاد معهدها الملكي ، فضم ذلك المؤتمر الاول من نوعه نخبـة ممتازة من علماء الموسيقى الشرقيـة ، من عرب وأجانب ، وطبع خلاصة أعماله في كتاب كبير حوى تقريراً هامّـا للمستشرق الدكتور هنري جورج فارمر ، وكم نود أن يتكرر عقد هـذا المؤتمر في البلاد العربية حتى تتحقق الغاية المنشودة منه ، وقد أوفدت سورية اليه بعثة من العازفين لم يتسن لأحد من أفرادها أن يشترك بالبحوث الفنية ، ولم يغب ذلك عن البارودي نصير الموسيقى ، فتوسط لدى وزارة المعارف لايفاد الشيخ علي الدرويش على رأس البعثة ، فرفضت وساطته لأسباب حزبيـة ، ولكن المرحوم البارون درلانجه أمين سر المؤتمر وهو الذي أسدى الى الموسيقى العربية يداً بيضاء بترجمـة كتبها القديمة الى الفرنسية دعا عليّـا وأنابه عنه ، فاشترك بلجنتي الأصول والمقامات وأنجز جزءاً هامّـا من الأعمال.

ولئن كان ذلك المؤتمر الخطير قد قصر في أهم غاياته كتقرير السلم وضبط الأنغام بأسلوب علمي مقنع ، الا أن الفضل يعود اليه في بعث النهضـة الفنية في البلاد العربيـة واستثارة همم أبنائها الى البحث في العلوم الموسيقيـة ، فتأسست أندية كثيرة تستحق التنشيط والتقدير ، وان كانت عاجزة عن السير بالفن الشرقي كما ينبغي لضعف مواردها ، وصدرت مجلات وكتب في مصر وسورية وكان لدمشق القدح المعلى في هذا المضمار ، كما أثبتت شهادات العلماء والجامعات ، وأهم المؤتمرات والمؤسسات ، بيد أن انتاج دمشق لم يؤت ثماره بعد ، لأنه يحتاج الى اهتمام ومال ، حتى يترجم وينشر على العالم ، ولسوف

يؤدي البحث العميق فيه الى ابتكار آلات جديدة والى معرفة تطور المادة من صورة الى صورة ، والى مداواة اكثر الأمراض بطريقة لا تخطىء ، لأن المرض خلل يطرأ على سلسلة التناسب الموسيقي ، التي بنى عليها كل عضو في الجسد ، فيداوي بتناسب يقومه في كل ما يؤثر في الحواس ، من أصوات وألوان وروائح وأدوية وغيرها ، فالموسيقى اذن مقبلة على تطور عظيم وضعت أسسه دمشق ، عندئذ يدرك الناس أن اتفاقهم على نظريات هـذا الفن وتطبيقها عمليًّا ، انما هو فاتحة لاتفاقهم على كل قضيـة اخرى تسبب خلافاً بين الأمم اعنى أن الاتفاق على توحيد لغة الموسيقى هو الدرجة الأولى في سلم السلام ، ولئن دعى القرن الثامن عشر عصر البخار والتاسع عشر عصر الكهرباء والعشرون عصر الذرة ، فان القرن الحادي والعشرين سيدعى عصر الموسيقى ، وكفى بهـذا الشرح الموجز دليلاً على عظمتها وضرورة الاهتمام بها ، فهي ليست ترديد أصوات أو نقراً على أوتار ، بل هي بحر من العلوم يزخر بأعظم الفوائد .

والخلاصة أن التطور الذي طرأ على الموسيقى في سورية خلال نصف قرن ، ظاهر بوضوح لكل من يقابل بين حالها الحاضرة وحالها السابقـة ، هـذا التطور وان كان بطيئاً وقليل الأهمية من الجهة العمليـة ، ومن جهة رقي التلحين ، وتعدد الآلات ، وتلوين الألحـان بمزج الأصوات ، إلاّ أنه عظيم جداً من جهـة العلم والنظريات ، ولا يخفى ان كل بناء عظيم كان قبل تشييده تصميماً هندسيًّا أي فكرة فنية مرسومة على الورق.

ورجائي ان اكون قد وفقت بهذا البحث الى أداء واجب قومي ، عهدت اليّ به ادارة هذه المحطـة التي أتمنى لها في خدمة الموسيقى كل نجاح وازدهار لأن الموسيقى الصحيحـة لغة عالمية تعجز كل لغة عن مجاراتها في التأثير وبعث الهدوء في النفوس ، وما ضر أية لغة اذا نشرت بها مؤلفات غاية في الهون والاسفاف ؟ أليس لكل لغـة خزانة تضم مؤلفات غاية في الروعة والابداع ؟ فما علينا اذن إلا أن نعزز موسيقانا ونتخذ منها وسيلة للسمو وخدمة للروح وتقريب الأذواق ، بدلاً من ان نجعلها وسيلة للخلاعة والهـذر والمجون ، وهكذا تنحصر الحرب المشنونة عليها بمقاومة الاسفاف والابتذال ، وتنصرف الهمم في جميع الاقطار العربية الى تعزيز هـذا الفن بالابداع والانتاج ، وقد صور ذلك شاعر القطرين المرحوم خليل مطران بقوله : —

نحبّ من الانشـاد كل مكرر   بلحن جمود الفكر من مستفاده
ونبو بنا الآذان عن مستجدّه   فكل عتيق ، فهو من مستجاده
بنـا حاجة النسر المهيض جناحه   الى جوّه العـالي ورحب مراده

قصيدة

ولدي

للأستاذ عدنان مردم بك

أرعاك بالقلب الذي   لك عنده ما يؤثر
وأراك بالعين التي   بك تستنير وتبصر
وأقيك عادية الأذى   مما تخاف وتحذر
ولدي وأنت على الزمان   ليَ السراج النيّر
لك من حنانيَ ما يضيق   الوصف عنه ويقصر
أخفي هواك محاولاً   كتمان ما أنا أستر
فينم دمعي بالذي   كتم اللسان ويخبر
أيعيبني ما رحت أبدي   من هواك وأظهر
وبك المنى صافحتها   وبلغت ما أتصور
لما هششت مصفقاً   وعطفت نحوي تنظر
أيقظت ملء أضالعي   فتن المنى تتسعر
وهززت مني خافقاً   من رحمة يتفطر
وأسلت من عيني الحنان   مدامعاً تتحدر
أجد الحياة على القذى   بك تستطاب وتؤثر
ومعاتبٍ متطفلٍ   فيما يشير ويؤمر
تخذ النصيحة للأذى   سبباً فراح يشهر
فعذرته من رحمة   إن الأبوة تعذر
ولدي وهل شيء أعز   عليّ منك وأكثر
وأكون أنت وما سواك   زيادة لا تذكر
يصفو الزمان إذا ابتسمت   بناظريّ ويثمر
وإذا شكوت فكل ما   حولي جديب مقفر
تحلو السماء ببدرها   للناظرين وتسحر
ولأنت من بدر الدجى   أبهى وعنديَ أنور

ما يهمك أن تعرف عن :ـ

العناصر المعدنية

ماهيتها وخواصها في جسم الانسان

للأستاذ اسبيرو جبري

« قبل البدء في تعريف فوائد العناصر المعدنية الموجودة في جسم الانسان يحسن بنا أن نعرّف الانسان نفسه تعريفاً شاملاً فنقول : »

﴿ خلق الانسان ﴾ « في البدء خلق الله السماوات والأرض » هذه أول آية استهل بها الفصل الأول من سفر التكوين ، وهو السفر الأول من أسفار الكتاب المقدس . وبعد هذا يبدأ في تفصيل خلق الخليقة الى أن يصل الى العدد السابع والعشرين من الفصل نفسه فيقول : —

« فخلق الله الانسان على صورته ، على صورة الله خلقه ذكراً وأنثى » .

وليس بين قراء المقتطف من يجهل هذه الحقيقة ، أو من لا يؤمن بأن الرب الاله جبل الانسان تراباً من الأرض ونفخ في أنفه نسمة حياة فصار الانسان نفساً حية (١)

وجاء في القرآن الكريم ما نصه : —

« ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً . ثم انشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين » (٢) . — وجاء أيضاً ما نصه : —

« يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فانّا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء الى أجل مسمى (٣)

﴿ تعريف الانسان ﴾ عرّف القاموس الانسان بقوله : هو الحيوان الناطق وهو اسم جنس يطلق على آدم وعلى كل من ذريته ذكراً كان أو أنثى » .

---

(١) سفر التكوين ٢ : ٧ (٢) سورة «المؤمنون» الآيات ١١ — ١٣ (٣) سورة «الحج» الآية ٤

وقيل إن كلمة الانسان آتيــة من النسيان وهو مذهب الكوفيين أيام كانت المناظرة اللغوية بينهم وبين البصريين في صدر الاسلام ولذلك قال شاعرهم : —

ولا تنس هاتيك العهود فانما سميت انســاناً لأنك ناس

ولـكن هــذا تمحل والأصح إنها من الانس على مذهب البصريين صفة مشبهة باسم الفاعل صيغة فعلان وهي انسان بمعنى آنس اشارة الى انسه طبعاً بعضه ببعض .

والانسان مخلوق من مخلوقات الله الحية وهو أكملها جسداً ونفساً . وفي هــذا يقول ابن عربي « الانسان يجمع في نفسه صورة الله وصورة العالم وهو وحده الذي تتجلى فيه الذات الالهية بكل الصفات والأسماء ، وهو المرآة التي تنكشف لله فيها ذاته ، ونحن أنفسنا الصفات التي نصف بها الله ، ووجودنا ما هو الا تحقيق وجوده . . . »

﴿الانسان انساناً﴾ يتميز الانسان عن غيره من الحيوان بنطقه وعقله ومعرفته الخير والشر ، مع دوام صلة المعرفة والعاطفة والحنان متبادلة بينه وبين أهله وأقاربه واخوانه ، بعكس الحيوان الذي يعرف صغيره الى أن يكبر ويتساويا فيصير كل منهما ينظر الى الآخر كنظره الى كل حيوان وتفقد تلك الصلة والعاطفة والحنان بينهما .

كما أنه يعترف بوجود قوة الهية خالقة ويقر بحياة له بالروح غير هذه الحياة الدنيا ، وان نفسه هي غير نفس الحيوان الذي لا يعرف من هذه الحياة إلا تنازع البقاء وبقاء الجنس .

أما قول سليمان الحكيم ليس للانسان فضل على البهيمة (١) فهو يعني الناحية الحيوانية في الانسان . وأما عندما يقصد نفس الانسان يقول : « من يرى روح بني البشر الذي يصعد الى العلاء وروح البهيمــة الذي ينزل الى أسفل الى الأرض (٢) » وكذلك قوله : « نسمة البشر سراج الرب » (٣) أي نفس الانسان قبس ينير عن وجود الله وأعماله ، ولذا دعي الانسان بأنه تاج مخلوقات الله المتسلط على كل أعماله .

﴿الانسان حيواناً﴾ الانسان حيوان يخضع لكل نواميس الحياة الحيوانية والنباتية ولا يفرق عنها بشيء ، فهو يولد ويتوالد ويغتذي وينمو ويعطف ويغضب ويتجنب الخطر ويتألم ويمرض ويهزل ثم يتلاشى ويصبح أثراً بعد عين وذكرى بعد حقيقة ، غير كاسب لذاته من هذه الدنيا سوى غذائه . ثم يغدو هو نفسه غذاء لغيره من عالمي الحياة وهما الحيوان والنبات .

وفي هذا المعنى يقول العالم الفرنسوي لافوازيه : إن الطبيعــة تحتفظ بكل ذرة من ذراتنا ، ومختبرها العجيب يحوّل كل شيء فيها . فمواد اسلافنا نتناولها بغذائنا ، وموادنا

---

(١) سفر الجامعة ٣ : ١٩ (٢) سفر الجامعة ٣ : ٢١ (٣) سفر الامثال ٢٠ : ٢٧

نحن سيتناولها أخلافنا بغذائهم وهكذا الى ما شاء الله . .

وفي الحرب العالمية الأخيرة كان الألمان يحرقون جثث الموتى ويأخذون الرماد المتخلف عنها ، ويستعملونه في تسميد الأراضي الزراعية . ورحم الله أبا العلاء حيث يقول : —

خفف الوطء ما أظن أديم الـ أرض الاّ من هـذه الأجساد

يهزل الانسان ثم يموت فتصعد تلك النسمة الحية الى خالقها ومبدعها لكي يحاسبها على أعمالها التي تكون قد اقترفتها على الأرض ، إن خيراً فخـير وإن شرّاً فشر ، وهو ما نسميـه بالثواب والعقاب . أما الجسم فيدفن ثم يبلى وتتحلل جميع عناصره وتعود الى الأرض التي أُخذ منها ، لأنه تراب والى التراب يعود (١) .

يعود الانسان الى أمه الأرض التي تحنو عليه وتضمه اليها . وإذا جردناه من مواهبه العقلية ، فلا يبقى الا هيكل عظمي التفت عليه أعصاب وعروق وعضلات لا تساوي كلها الا بضعة دريهمات قليلة .

﴿ جسم الانسان ﴾ تتركب نسُج جسم الانسان من عدة عناصر مختلفة أهمها ستة عناصر وهي : — الـكربون والايدروجين والاكسجين والنتروجين والـكلسيـوم والفصفور وهي العناصر التى تتركب منها معظم الأغذية ومجموعها ٩٩ ٪ من وزن الجسم .

فالأربعة عناصر الأولى وهي الـكربون والايدروجين والاكسجين والنتروجين توجد على هيئة مركبات عضوية تعرف بالبروتينات « زلاليات » ومنها تتكون جميع نسج الجسم ، ولا تخلو منها أجسام النبـات والحيوان — ويوجد الايدروجين والأكسجين متحدين في الماء الذي يكوّن الجزء الأكبر من وزن الجسم ، فاذا أخذت جسم الانسان جملة واحدة كان الماء فيه ٦٧ ٪ .

ولا بد للجسم من المواد الزلالية . فاما أن يكوّنها بنفسه أو أن يستمدها من الأطعمة التي يتناولها ويتغذى بها . والمعروف أن انتاجها بنفسه متعذر عليه ، وإذن فلا بدّ منها في غذائنا . وعليه لا بد أن نتناول في طعامنا مقداراً كافياً من الزلاليات وإلاّ هلـكنا جوعاً مهما نتناول من الأصناف الأخرى ، لأن الجسم يحتاج الى الزلاليات للقيام بعمله ، وبوجه خاص العضلات والدم . فالعضلات والدم تفقد في قيامها بأعمال الحياة جانباً كبيراً من المواد التي تتركب منها ، فاذا لم نعوضها ما تفقده ضعفت . فالطعام المحتوي على المواد الزلالية ضروري جدّاً للجسم الحي .

---

(١) سفر التكوين ٣ : ١٩ — وسفر الجامعة ٣ : ٢

وقد نحصل على هذه المواد في أشكال مختلفة ، من الأغذية النباتية والحيوانية . فهي في اللحوم تدعى « ميوسين » وفي البيض « البومين » (زلال البيض) وفي اللبن الحليب « كازين » وفي الحنطة « غلوتين » وفي الفول والعدس وما أشبه « لغيومين » . ومع أن هذه المواد مختلفة الأسماء باختلاف مصادرها الا أنها متشابهة في تزويدها الجسم بما يحتاج اليه من الزلاليات لتجديد النسج وتعويضها مما تفقده منها .

ويجدر بنا أن نشير هنا بأنه مهما يتناول الانسان في طعامه من الزلاليات المستمدة من المملكة النباتية فلا يمكن له أن يستغنى بها عن الزلاليات المستمدة من الحيوان ، لان في الأخيرة مركبات ضرورية للجسم غير موجودة في زلاليات النبات .

وهناك بجانب العناصر الستة المذكورة آنفاً عشرة عناصر مهمة أخرى فيكون مجموع العناصر التي يتركب منها جسم الانسان ستة عشر عنصراً . وهي العناصر عينها التي توجد في التربة الزراعية والنبات والحيوان أيضاً وانه لا يوجد كائن حي سواء أكان نباتاً أم حيواناً لا يتركب جسمه من هذه العناصر الستة عشرة التي سنفصلها فيما يلي لأن الانسان والحيوان يتغذيان بالنبات ، والنبات يعتمد في غذائه على الهواء والتربة .

ونذكر في الجدول التالي نسبة أهم ما في الجسم من هذه العناصر : —

الاكسجين	٠٣ ر ٦٣ ٪	الفلور	١٤ ر ٠ ٪
الكربون	٢٠ ر ٢٠ ٪	الكبريت	١٤ ر ٠ ٪
الايدروجين	٩٠ ر ٩ ٪	البوتاسيوم	١١ ر ٠ ٪
النتروجين	٥٠ ر ٢ ٪	الصوديوم	١٠ ر ٠ ٪
الكلسيوم	٤٥ ر ٢ ٪	المغنسيوم	٠٧ ر ٠ ٪
الفصفور	٠١ ر ١ ٪	الحديد	٠١ ر ٠ ٪
الكلور	١٦ ر ٠ ٪		

أما اليود والنحاس والرصاص فمقاديرها في جسم الانسان أقل من ذلك كثيراً .

والأغذية التي يتناولها الانسان في طعامه تحتوي على مقادير مناسبة من هذه العناصر وهي لازمة للصحة والنمو وبدونها لا يؤدي الجسم وظائفه الفسيولوجية على وجه سليم ، وستكون هذه العناصر موضوع بحثنا التالي في معرفة منافعها وخواصها في جسم الانسان ، وتعيين الأطعمة الزاخرة بهذه العناصر .

للبحث بقية

نحن واللغة العربية

— ٣ —

اللغة العربية في العصر الحاضر : ١ . [في مصر]

للأمير مصطفى الشهابي

حل القرن العشرون فبدأت أرواح النهضة الحديثة تنوّر وتثمر . وكانت مصر في أوائل هذا القرن محط رجال الكتّاب والأدباء ورجال الصحافة . وما برحت مصر قلب العالم العربي وأهم معقل للغة العربية . وأسباب ذلك انها انفصلت عن الدولة العثمانية قبل غيرها ، وأن فيها الأزهر ، وأنها غنية ، وأن سكانها يبلغون ستة عشر مليوناً ، وأنها أخذت بوسائل المدنية الحديثة وبتعلم العلوم العصرية باللغة العربية منذ أيام محمد علي في القرن الماضي .

وإذا أنعمنا النظر في الثمار التي جنتها اللغة العربية بمصر في عهدنا هذا نجد انها تتلخص فيما يلي وهو : —

أولاً — ازدادت ساعات تدريس العربية في مدارسها وسهّلت وسائل تدريسها

ثانياً — أصبحت جميع المدارس الابتدائية والتجهيزية والزراعية والصناعية وكثير من المدارس العليا تدرّس بالعربية .

ثالثاً — ارتقت لغة الصحافة، وتعددت موضوعاتها، وانتشرت الصحف انتشاراً واسعاً مما قرب اللغة الفصحى الى العامة وجعلها في متناول مداركهم .

رابعاً — إرتقت لغة الدواوين في الحكومة المصرية ، ولا قياس بين لغة الموظفين السقيمة في القرن الماضي ولغتهم في أيامنا هذه .

خامساً — ألف بالعربية عدد لا يستهان به من الكتب المدرسية في مواضيع العلوم العصرية المختلفة .

سادساً — طبع بمطبعة الحكومة وبمطبعة دار الكتب المصرية كثير من كتبنا الأدبية، ومعاجمنا القديمة. وللجنة التأليف والترجمة والنشر في يومنا هذا، فضل كبير في هذه الناحية من نشاط مصر الأدبي والعلمي.

سابعاً - أنشيء مجمع لغوي إسمه مجمع فؤاد الأول للغة العربية أهم أغراضه المحافظة على سلامة هذا اللسان، وجعله وافياً بمطالب العلوم والفنون في تقدمها، ملائماً لحاجات الحياة في العصر الحاضر، وذلك بأن يحدد في معاجم أو تفاسير خاصة ما ينبغي استعماله أو تجنبه من التراكيب. وقد أصدر هذا المجمع حتى اليوم أربعة مجلدات من مجلته، فيها مقالات وبحوث مفيدة وجملة صالحة من المصطلحات العلمية.

ويتضح من هذه الخلاصة الموجزة أن لساننا المبين مدين لمصر في نهضتها الحديثة. ولكن هذا اللسان يطمع من هذا القطر العربي بمجهود أكبر يناسب استقلاله وثروته وعدد سكانه. فدواوين الحكومة في مصر مثلاً ما برحت تستعمل كثيراً من الألفاظ الأعجمية كالباش مهندس والحكيم باشي والأوسطة وأحزابها. وما برح في الجيش المصري عدد من الألفاظ غير العربية كالصاغ واليوزباشي والأورطة واشباهها، على حين ان مصطلحات الجيش بالعربية تكاد تكون اليوم تامة. وقد كان مبدأ وضع هذه المصطلحات في دمشق عقب الحرب العظمى الأولى، ثم تناول العراق هذا العمل المجيد وتوسع فيه حتى صار عندهم معجم كبير لتلك المصطلحات.

وإذا انتقلنا الى الجامعة المصرية نجد أن التعليم في بعض كلياتها ولا سيما كلية الطب ما برح يلقى باللغة الانكليزية والقول بأن تعليم الطب وفروعه بلغتنا يدعو الى ابتعاد مدارسنا الطبية عن مثيلاتها في الغرب وعن الثقافة الغربية، قول بعيد عن الصواب على ما أرى. لأنه ما من أستاذ يدرّس بالعربية في مدرسة فنية عليا إلا وله اطلاع كاف على الفرنسية أو على الانكليزية، وما من مخبر من مخابر هذه المدارس إلا وله اتصال بمخابر الغرب وأساتذته. أما الطلاب فلا يمكن أن تتدنى ثقافتهم إذا درسوا العلوم والفنون العليا بالعربية ما دامت مدارس التجهيز تزودهم بلغة أجنبية تسهل عليهم الاتصال بمنتجات الغرب إذا شاءوا. وإذا لبثنا نقول بأن لساننا لا يحتوي على كتب كافية في العلوم العالية، ثم أهملنا التأليف بهذا اللسان لأن تلك العلوم تدرّس بلسان أجنبي، نكون قد وضعنا لغتنا الضادية في حلقة مفرغة، ونكون قد جنينا عليها جناية لا تغتفر.

وفي كل سنة تعقد الجمعية الطبية المصرية مؤتمراً طبياً في بلد من البلدان العربية،

وتجعل من أسس أعمالها البحث في توحيد المصطلحات الطبية بالعربية . وأتذكر ان اجتماعها في سنة ١٩٣٥ كان في دمشق ، وانني ألقيت في مؤتمرها محاضرة عنوانها « طرائق نقل المصطلحات العلمية الى اللغة العربية » وأن الأعضاء تكلموا وتناقشوا في هذا الموضوع وهم يتناولونه في كل عام . فماذا كانت النتيجة ؟ لقد كانت النتيجة أنهم أحالوا الموضوع الى مجمع فؤاد الأول للغة العربية ولبثت مدرسة الطب في مصر تدرس باللغة الانكليزية .

ولم يظهر في مصر عدد يذكر من العلماء القادرين على إغناء لغتنا بمصطلحات العلوم والمخترعات الحديثة .

ولم يؤلف في هذا الصدد سوى معجم صغير في أسماء النبات للدكتور احمد عيسى ، ومعجم كبير في العلوم الطبية والطبيعية للدكتور محمد شرف كثير من ألفاظه تحتاج إلى إعادة النظر فيها .

وقد أفاد مجمع فؤاد الأول لساننا الضادي ببعض قواعد في تسهيل اللغة أجاز استعمالها ، ووضع أو أقر جملة من المصطلحات العلمية لا بأس بها . ولكن أين هذا العمل الضئيل من تحقيق أهم عمل يرتقبه العالم العربي من المجمع المشار أليه وهو وضع معجمين الأول إفرنجي عربي للمصطلحات العلمية والمخترعات الحديثة ، والثاني معجم عربي تعرّف فيه الألفاظ تعريفاً علمياً ، كمعجم لاروس الصغير مثلاً . وضع هذين المعجمين يتطلب جهود عشرات من العلماء الاختصاصيين في جميع بلاد العرب ولم نسمع بأن مجمع مصر استعان بواحد منهم ضمن اختصاصه فكلفه وضع الألفاظ المتعلقة بالعلم الذي يتقنه ، بل حصر عمله ضمن دائرة ضيقة فصارت الأيام والسنون تمر دون أن نسمع شيئاً عن هذين المعجمين . ومعجماتنا القديمة لا تصلح لأيامنا هذه . فهي خالية من مصطلحات العلوم الحديثة ، عدا أن كثيراً من ألفاظها قد عرّفت تعريفاً بعيداً عن التعريف العلمي الحديث . وقد ذكرت في مقالاتي في المقتطف وفي مجلة مجمعنا العلمي العربي أمثلة عديدة على هذه النقائص . ولهذا وجب صنع المعجمين اللذين أشرت اليهما . ولكن صنع المعاجم المضبوطة علمياً في هذه الأيام لايستقيم الا لجمهور كبير من العلماء الاختصاصيين . فمعجم لاروس الفرنسي المصور مثلاً عمل في تأليفه عشرات بل مئات من العلماء والأساتذة . ومعجم لاروس الصغير استنفد جهود عدد كبير منهم . وعددت ٧٥ عالماً ساهموا في معجم لاروس الزراعي الخ ...

ومهما يكن من أمر فالآمال معقودة على مصر في تحقيق هذا الغرض السامي . وعسى

أن تحقق الكنانة آمال أبناء العرب فيها ببذل جهدها في هذه الناحية كما فعلت أخيراً باتخاذها قانوناً يقضي على الشركات الأجنبية في مصر بتدوين أعمالها وحساباتها باللغة العربية . فان في اتخاذ هذا القانون خدمة جليلة للغة الضاد ، علاوة على خدمة عدد كبير من الشبان المصريين بايجاد مرتزق لهم .

وإذا حوّلنا حديثنا الى الأدب والشعر والانشاء في العصر الحاضر نجد أن أدباء مصر وشعراءها وكتابها قد حلّقوا وبلغوا الذروة فيما دبّجت يراعتهم من مقالات جليلة ، وفيما أطلعت قرائحهم من مصنفات ثمينة . ولاشك أنهم فاقوا في هذا الباب زملاءهم في الأقطار العربية السائرة على وجه الاجماع . ولهذا صار لأدبائهم من مصريين ومتمصرين حق الزعامة الأدبية في البلاد العربية .

ومن أشهر الكتّاب في مصر في أوئل العصر الحاضر الشيخ عبد العزيز جاويش وحفني بك ناصف ومصطفى صادق الرافعي والسيد مصطفى لطفي المنفلوطي صاحب كتاب النظرات والشيخ علي يوسف زعيم الصحافة المصرية في تلك الأيام وأحمد تيمور باشا وأحمد زكي باشا وهم من الكتّاب العلماء.

أما الشعراء فأشهرهم أحمد شوقي وحافظ ابراهيم وخليل مطران . وقد برز هؤلاء الثلاثة وفاقوا غيرهم فكانت الامارة لأولهم، وهو أخصب شعراء العصر فكراً وأوسعهم خيالاً وأقدرهم على النظم في مختلف الأغراض الشعرية . وكان حافظ ابراهيم شاعر السياسة والشؤون الاجتماعية على الأخص ، كما كان من أكبر الكتّاب الناثرين . ولخليل مطران فضل تزويد الشعر العربي بالوصف الرائع والأخيلة الواسعة التي يتذوقها المتأدب في روائع الشعر الأوربي ، وهو ممن ملكوا اللغة العربية فأجادوا في النثر كما جوّدوا في الشعر.

وظهر في مصر عدد كبير من الشعراء من طبقات مختلفة ، وكان ولي الدين يكن من أرق الشعراء. أما اليوم فقد بدأ نجم علي محمود طه يتألق . وهو صاحب قصيدة «الجوندول» وله قصائد كثيرة نحا فيها مناحي الأوربيين واستلهم الشعر من رياضهم دونما عجمة . ولولا أنه يجب ذكر العقاد في رهط الناثرين المبرزين لوجب ذكره في هذا المقام.

ومن أشهر الكتّاب والأدباء الأحياء الذين قبضوا على ناصية البيان ، رهط درسوا في الأزهر ثم تثقفوا بالثقافة الأوربية فجمعوا بين الحسنيين أمثال طه حسين عميد كلية الآداب سابقاً ، وأحمد امين عميدها اليوم ، واحمد حسن الزيات صاحب مجلة الرسالة.

ومن الأدباء الذين ذاع صيتهم واستفاضت شهرتهم إبراهيم عبد القادر المازني والشيخ عبد العزيز البشري بالنقد والفكاهة والأهكومة، وعبد الحميد العبادي مدير كلية الآداب في الاسكندرية وعبد الوهاب عزام بالأدب المدرسي، وعباس محمود العقاد وزكي مبارك بشتى نواحي الأدب. وكانت الآنسة ميّ أوسع الأديبات خيالاً وأغزرهن علماً، وكانت دارها ندوة الأدباء. ولا مشاحة في أن يعقوب صروف أحد صاحبي «المقتطف» كان صاحب أجود قلم يعالج العلوم العصرية ويترجمها الى لساننا الضادي. أما اليوم ففي مصر عدد من الكتّاب يكتبون العلوم بأقلام لا بأس بها، وأكبر عقبة في هذا الضرب من الكتابة افتقار الكتّاب الى عدد كبير من المصطلحات العلمية المضبوطة ولهذا قلّ من يجودون فيه.

ولا عجب أن ينبغ عدد من الأساتذة اللغويين في بلد تدرَّس فيه دقائق اللغة وآدابها في مثل الأزهر وكليته العربية، وفي مثل كلية الآداب ومدرسة القضاء الشرعي وكلها معاقل لهذا اللسان المبين. ومن أشهر هؤلاء الأساتذة الشيخ أحمد الاسكندري وكان يدرس العربية في مدرسة دار العلوم، والشيخ ابراهيم حمروش شيخ كلية اللغة العربية في الازهر، وأحمد العوامري المفتش الأول للغة العربية بوزارة المعارف، والشيخ حسين والي من اللغويين المشهورين، وعلي الجارم مفتش اللغة العربية بوزارة المعارف والشيخ محمد الخضر حسين أحد أساتذة الأزهر، وجميعهم أعضاء في مجمع فؤاد الأول للغة العربية. وفي الحقيقة صار يوجد اليوم في مصر عشرات من اللغويين المطلعين على دقائق آلات هذا اللسان.

أما التمثيل فقد أحسنت الحكومة المصرية بتأسيس فرقة قومية له لا تمثل الا بالفصحى. ومن دواعي الأسف انتشار التمثيل في مصر باللهجة المصرية العامية مما يضر بالفصحى ويخفي نكاته على معظم ابناء العرب في الاقطار العربية السائرة.

ويتضح من هذه الخلاصة بل اللمحة بل الايماضة التي يجب أن أبلغكم اياها بسرعة الراديو في اقل من عشرين دقيقة، أن في مصر اليوم عدداً عظيماً من الأدباء المبرّزين، والعلماء الاختصاصيين بشتى العلوم، واللغويين الذين قبضوا على أعنة اللغة، والصحفيين الذين سمت لغة صحفهم وموضوعاتها، والاساتذة الذين يدرسون الآداب والعلوم والفنون في مدارس عديدة عصرية راقية. فلا غرابة بعد هذا أن تعد مصر، من حيث الثقافة العربية العامة، في طليعة الاقطار العربية.

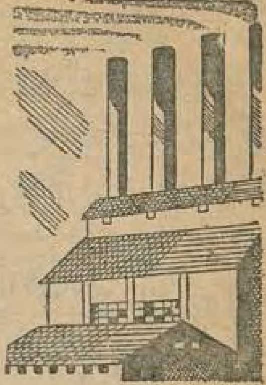

المخترعات المرتقبة

في النصف الآتي من القرن الحالي

— ٣ —

للأستاذ عوض جندي

٩ — ﴿ وسائل الطبخ المرتقبة ﴾ وحينئذ يصير المطبخ أمراً تذكارياً فحسب ، تتردد ذكراه في أذهان الناس الطاعنين في السن . ويقل عدد المتعنتات اللواتي يصررن على شي الدجاج بالمشواة «الشباك» على نار الفحم الحجري .أو اللواتي يشغفن بشيٍ ساق الخروف مثلاً على النيران المكشوفة . لأن الخبراء قد يكونون اخترعوا وسائل جديدة من شأنها تثليج قطع اللحم المطبوخ في الفرن طبخاً خفيفاً ،تثليجاً بالغاً . وحتى الحساء واللبن يصبح تقديمهما إلى الآكلين على شكل قوالب مثلجة .

وفي ذلك العهد تنتشر حرفة تثليج الأغذية . وينجم عن تغير عادات الناس المتأنقين في طعامهم ، ضرورة تركيب المواقد الكهربية الفنية في كل بيت . وهي ثمرة من ثمار الحرب العالمية الثانية . فتقتني ربة الدار موقداً منها لتستطيع به في ثماني ثوان ، تذويب الثلج عن شرائح اللحم المشوي نصف شي . ثم استكمال نضجها في دقيقتين أخريين فتقدم للاكل . فيتسنى لكل سيدة على هذا المنوال في زمن لايزيد على نصف ساعة اعداد أكلة متقنة متعددة الاصناف .

١٠ — ﴿ الأغذية المصنوعة بالوسائل الكيمائية ﴾ وسوف يكون بعض الطعام الذي تبتاعه ربة البيت طعاماً مصنوعاً صنعاً كيمائياً ، كما نسميه الآن . وهذه التسمية سوف تصير خاطئة في أواخر القرن الحالي . لأن علماء الاحصاء سبق أن تكهنوا في منتصف هذا القرن نفسه ، بأن الخلق سيموتون جوعاً لأن موارد الطعام حينئذ ستعجز عن مداد سكان العالم الذين يزيدون دائماً زيادة عاجلة على هاتيك المصادر الطبيعية .

وسوف يقوم العلماء قبل سنة ٢٠٠٠ بمباحث طريفة واسعة النطاق ، يتوخون بها

استغلال القواعد التي كانت فطيرة في الربع الأول من القرن الحالي ، استغلالاً خطيراً . ومن ثمة يتاح تحويل نشارة الخشب وعجينته أغذية حلوة الطعم . كما يمكن تحويل الأخونة والمشش الورقية المستعملة ، الشبيهة بالكتانية ، وكذا الثياب الداخلية المستعملة التي تنسج من الحرير الصناعي ، إلى حلوى تنتجها المصانع الكيمائية .

١١ — ﴿الراديو المصور لخدمة التجار وأرباب البيوت﴾ ولسنا نرتاب في وجود أجهزة الراديو المصورة في بيوت المستقبل . ولكن هذه الأجهزة ستكون متصلة بأجهزة التليفونات وأجهزة استقبال الاذاعة اللاسلكية المركبة في المساكن . وذلك لكي يستطيع رب الدار حينما يرغب في محادثة تليفونية مع صديق له في مدينة نائية ، رؤية أحدهما الآخر في آن واحد .

١٢ — ﴿المخترعات الكهيربية الأتوماتيكية﴾ أما المخترعات الكهيربية الاتوماتيكية التي يخيل للمرء أنها على جانب من الذكاء ، فتقوم بتوحيد الانتاج الصناعي توحيداً من شأنه جعل الآلات جميعها التي يحويها المصنع تؤدي أعمالها كوحدات ، لما هو في الواقع جسم واحد ضخم ومثال ذلك ، إن في مصنع أوريول للطائرات العمودية الارتفاع - الهليكوبتر - بضع آلات من هذا الصنف مخصصة لمنع تعب العمال ، تستجيب للمصابيح التي تضاء بغتة على لوحة خاصة عندما ينطفي الصمام الكهيربي أو يحدث خطأ في الدائرة الكهربية . وتوضح كل عملية من العمليات الضرورية لصناعة الهليكوبتر بوساطة ثقوب تثقب على رزمة من الورق . ثم تقدم هذه الرزمة المثقبة لآلة تصدر الأوامر فعلاً الى الآلات الأخرى جميعها التي في المصنع . والثقوب التي تثقب في الورق تبين بالضبط مقدار التوسيع الذي ينبغي أن يقوم به البرغل « آلة التوسيع والتنعيم التي تعمل في باطن الاسطوانة » تماماً كما تمرر آلة من آلات صوغ ألواح المعادن ، لوحاً من الألومينيم ، الى جارتها قصد احداث ٢٢ ثقباً في مواضع معينة . وهناك مفاتيح انكليزية ميكانيكية تقوم من تلقاء نفسها بربط المسامير اللولبية « البرمة » بالصواميل وهذه تكف عن عملها حالما تثبت المسامير في مواضعها . كما توجد مقصات كبيرة تقص ألواح المعادن وفق الحاجة تماماً . وبالجملة فان كل عملية ، تعمل في ذلك المصنع بالطريقة الأوتوماتيكية الكهيربية .

١٣ — ﴿آلة كهيربية تتنبأ بالتقلبات الجوية﴾ ومن أشهر الآلات الكهربية التي يتوقع العارفون تحسينها قبل سنة ٢٠٠٠ ، آلة سوف ينفق عليها مئات الألوف من الدولارات في غضون الربع الأخير من القرن الحالي . وذلك من مال الدكتور فلاديمير

زوريكين وزميله الدكتور جون ڤون نيومان . ونعني بها آلة أوتوماتيكية تتنبأ بما يطرأ على الجو من التقلبات تنبؤات صادقة ، وهذه سوف تجمع بين آلتين — هما آلة حاسبة وأخرى متنبئة . فتقوم أولاهما بحل ألوف من المسائل الحسابية المفردة في دقيقة واحدة . على حين تنفذ ثانيتهما تعليمات أختها الحاسبة وتتنبأ بتقلبات الجو من ساعة الى أخرى(١) .

والمعروف أنه حتى سنة ١٩٥٠ لم يكن الوقت متسعاً لعلماء الظواهر الجوية ورصدها ، لأجل التنبوء بما يحدث من الظواهر الجوية قبل ٢٤ ساعة كاملة . وذلك عندما تزيد هذه الظواهر على خمسين ظاهرة بما يتبعها من عويص المسائل الحسابية التي ينبغي حلها لهذا الغرض .

١٤ — ﴿كيف يمكن إتقاء ضرر العواصف﴾ وذلك على حين أن المقترحات التي اقترحها العلاّمة زوريكين وزميله ڤون نيومان تقضي بأن العواصف يتاح قمعها إما كثيراً وإما قليلاً وهما يريان أنه من السهل جداً اكتشاف العاصفة في مهدها عندما تهب في ربوع المحيط القريبة من خط الاستواء عند شاطىء أوريقية . فينبغي قبل سنوح الفرصة لتقويتها وتفاقم سرعتها نحو الجهة الغربية ، قاصدة الى فلوريدا ، أن يسكب الزيت المعدني على مياه البحر ويشعل . فيتولد من اشعاله حينئذ تيار هوائي علوي . فيأخذ الهواء المحيط بالمنطقة المجاورة لهاتيك الآفاق التي تشمل العاصفة المتفاقمة في اقتحام ذلك الفراغ ليشغله ، إذ يتكثف الهواء المرتفع تكثفاً من شأنه جعل بعض الماء الذي تحويه العاصفة ، ينزل مطراً .

وعندما يتيسر تحويل العواصف تحويلاً لا ينشأ عنه أي ضرر كان ، تغدو الملاحة الجوية لا يعوقها أي عائق البتة . فيسهل على كل انسان وقتئذ الارتحال كيف يشاء الى البلاد الأجنبية اكثر مما كان يفعل حتى سنة ١٩٥٠ .

١٥ — ﴿الطائرات التي تطير بسرعة تفوق الصوت﴾ وقبل حلول سنة ٢٠٠٠ سوف تظهر الطائرات التي تفوق في طيرانها سرعة الصوت إذ تقطع الف ميل في الساعة . وتستهلك وقوداً كثيراً باهظ الثمن . وهذا مما يجعلها فادحة الأجور . فيستطاع حينذاك لاحدى هاتيك الطائرات قطع المحيط الاطلنطي في ثلاث ساعات . ولا غرو فرؤساء الشركات وأرباب

---

(١) «المقتطف» : يسرنا أن نذيع ان مصلحة الارصاد في مصر بدأت باستخدام الآلات الحاسبة الحديثة لاستخراج المعادلات والجداول الاحصائية ، وهذه الآلات تستخدم لاول مرة في تاريخ الارصاد الجوية بمصر والشرق . وقد رأت المصلحة ايفاد الاستاذ ابراهيم علي البرلسي مراقب قسم المناخ فيها الى انجلترا في زيارة علمية لمدة خمسة أشهر يدرس خلالها طرق استخدام هذه الآلات ، والاطلاع على النظم المتبعة في قسم المناخ بمصلحة الارصاد البريطانية .

المصارف المالية وسفراء الدول وغيرهم من الأثرياء يؤثرون ركوب الطائرات الصاروخية التي تقطع الف ميل في الساعة . ولا يضير كل منهم أن يدفع ٥٠٠٠ دولار أجرة سفره الجوي من شيكاغو مثلاً الى باريس . أما غير هؤلاء فيركبون الطائرات النفاثة لأنها أرخص أجوراً .

١٦ - ﴿ استخدام طائرات الهليكوبتر ﴾ وسيعقب اتساع نطاق النقل الجوي ، سهولة توزيع السكان على أنحاء العالم توزيعاً مرضياً ، غير ميسور الى الآن ، حيث تطيب الاقامة . وحينئذ يصبو كثيرون من أهل المدن المكتظة بالسكان ، الى سكنى الضواحي الأنيقة . ويفضلون ركوب طائرات الهليكوبتر . وسوف تقتني كل عائلة طائرة منها ترابط فوق سطح مسكنها ، بدلاً من استعمال السيارات الحالية التي سيكون استخدامها مقصوراً على التسوق أو الرحلات التي لا تزيد على عشرين ميلاً .

١٧ - ﴿ منقولات السكك الحديدية في آخر القرن الحالي ﴾ أما السكك الحديدية فسوف تصير في سنة ٢٠٠٠ ضرورية للنقل والانتقال . كما كانت إلى آخر سنة ١٩٥٠ فتنقل على خطوطها ثقال البضائع وأضخمها ، مما تعجز طائرات البضائع عن نقله . أما الركاب الذين يرغبون في السفر بالسكك الحديدية فيكونون قليلين . وحتى حملة التذاكر الكيلومترية يفضلون حينئذ السفر الى المدائن التي تبعد عن مساكنهم مئات الأميال ، وذلك في أوتوبيسات جوية ضخمة تسع كل منها ٢٠٠ راكب . بينما يقطع تلك الرحلات مئات الألوف من الركاب مرتين كل يوم في طائراتهم العمودية الارتفاع .

١٨ - ﴿ الطائرات اللامروحية لنقل البريد ﴾ وسوف تصير الطائرات اللامروحية « النفاثة » والصاروخية ، الخاصة بنقل البريد ، منافسة أبلغ المنافسة ، لشركات التلغراف في العالم بأسره . إذ يمكن حينذاك في دقيقة واحدة نقل وتلقي رسالة مكتوبة طبق الأصل ، مؤلفة من خمس صفحات من الورق ذي الحجم التجاري المألوف ، وذلك بنفقة قليلة

١٩ — ﴿ ارتقاء المستشفيات ﴾ وسوف تصير المستشفيات أرقى منها الآن من كل الوجوه فاذا أصيب امرؤ بأي مرض كان ، قصد إلى الطبيب في المستشفى . فلا يكاد ذلك الطبيب يرى المريض حتى يضغط زراً كهربياً ، فيسارع اليه مساعدوه أجمعون حاملين المعدات اللازمة لفحص العليل واسعافه .

البطليوسي (١)

للدكتور محمد يوسف موسى

وهذا مفكر متفلسف إسلامي آخر ، لم ينل الحظ الذي كان أهلاً له من ذيوع الاسم وبعد الصيت في تاريخ الفكر الاسلامي ، فقد أغفله مؤرخو هذا التفكير ، كما أغفلوا آخرين كثراً كان يجب العناية بهم وبنتاج تفكيرهم ، نعنى به عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي ، الذي ولد بمدينة بطليوس عام ٤٤٤ هـ ، وتوفي ببلنسية عام ٥٢١ هـ ، وكلتاهما من بلاد الأندلس كما هو معروف .

لقد كان هذا المفكر فقيهاً ، عالماً باللغة بصيراً بالعلوم القديمة ، وله جهد مشكور في ناحية التوفيق بين الدين والفلسفة ، وطريقته في علاج هذه المشكلة جملته مرضياً عنه من معاصريه . ها هوذا الفتح بن خاقان يقول عنه في كتابه قلائد العقيان : « وله تحقق بالعلوم الحديثة والقديمة ، وتصرف في طرقها القويمة ، ما خرج بمعرفتها عن مضمار مشرع ، ولا نكب عن أصل للسنة ولا فرع » : ويذكر عنه الأستاذ العلامة الشيخ محمد بن زاهد الكوثري ، الحجة في العلوم والدراسات الاسلامية والذي يعيش بمصر هذه الأيام ، بأنه أبان هذه المسائل الفلسفية وكشف عن حقائقها ، إبانة خرّيت ، مع عنايته ألا يحيد قيد شعرة عن حدود شرع الله (٢) .

---

(١) نحب أن نذكر هنا أن الكلام فيما يتصل بوجود الخلاف والوفاق بين الدين والفلسفة ليس مشكلة التفكير الفلسفي في العصر الوسيط فقط ، بل ان هذه المشكلة لا تزال قائمة حتى اليوم لدى كثير من المثقفين المسلمين ، وبخاصة في الازهر . لهذا لا يعتبر الحديث في هذه الناحية حديثاً لاعناء فيه ، بل هو حديث له دائماً جدته وضرورته ، بل هو حديث يعني كثيراً من علماء الدين وفقهائه الذي لا يزال كثير منهم يرى ما كان يراه أسلافنا في العصر الوسيط من وجود عداء بين الدين والفلسفة . ومن ثم ترى هذا الفريق يجعل بين عقله وبين فهم الحقيقة حجاباً كثيفاً يمنع من التفكير الصحيح ومن الافادة من جهود الفلاسفة .

فالى هؤلاء وأمثالهم نسوق الحديث عن فقيه عالم باللغة ، ولم يمنعه ذلك من أن يكون بصيراً بالفلسفة أيضاً

(٢) مقدمة كتاب الحدائق في المطالب العالية الفلسفية العالية ، ص ٤ ، طبعة القاهرة عام ١٩٤٦

ونستطيع أن نقدر بأن تفكير البطليوسي الفلسفي يظهر لنا بوضوح في معالجته مشكلة ما بين الدين والفلسفة من صلات ، ولا عجب ، فبيان هذه الصلات هو — بحق — معقد الفلسفة الاسلامية وطرافتها . وقد خصص البطليوسي لهـذه الناحية مؤلفاً كاملاً من مؤلفاته العديدة ، وهو كتاب الحدائق في المطالب العالية الفلسفية العويصة الذي ظهر بمصر لأول مرة عام ١٩٤٦ م . وتكاد محاولته التوفيق بين هذين الطرفين ، الدين والفلسفة ، تقوم على ما يأتي :

ا — تقرير حدوث العالم ، وبيان كيف صدر عن الله وحاجته له في حفظه وبقائه موجوداً .

ب — بيان أن الله يعلم نفسه وغيره وكل ما خلق ، مخالفاً بذلك الفارابي وابن سينا ،

حـ — تحبيب الفلاسفة القدامى (اليونان) للمسلمين ، بتاكيده أن سقراط وأفلاطون وأرسطو . كانوا موحدين ، وأنهم في آرائهم عن الله حين تفهم على حقائقها لم يخرجوا عما تقدره شريعتنا .

د — بيان أن النبي أعلى من كل إنسان آخر ، حتى الفلاسفة .

إلى غير ذلك من الآراء التي رأى فيها عوناً للوصول الى الغاية التي أرادها .

الله والعالم

هنا نجد البطليوسي يذهب الى نظرية فيض الموجودات عن الله باعتباره العلة الأولى لها ، وإن كان علة مباشرة لأول موجود وغير مباشرة لما بعده ، كما نجـد عنده نظرية العقول العشرة ، وهـذا وذاك على النحو الذي نعرفه عن الفارابي وابن سينا . إلا أن البطليوسي ، في سبيل توضيح ما يقول ، يمثل ذلك لنا بوجود الأعداد عن الواحد ؛ فكل عدد معلول لسابقه لا يوجد الا بتوسطـه ، وإن كان الواحـد علة لها جميعاً ، إذ كان لا يصح وجود الأبعد إلا بوجود الأقرب⁽١⁾ وهـذا معنى ما يقال من أن الوحد علة العلل وسبب الأسباب » ⁽٢⁾ .

ثم يمضي في التمثيل ، تمثيل وجود العالم عن الله بوجود الأعداد الى ما لا نهاية عن الواحد ، لينتهي من ذلك إلى حل مشكلات قدم العالم أو حدوثه ومنها وجوده عن مادة أولى قديمة كما يقول الفلاسفة ، أو عن لا شيء كما يقول الدين ، ومنها مشكلة كيف تصدر

---

(١) كتاب الحدائق ص ٧ — ٨ (٢) الكتاب نفسه ص ٣٥

الكثرة عن الله ، وهو واحد من كل وجه ، بغير تكثر في ذاته . ولهذا يقول : وكما أن الأعداد كلها اقتبست الوجود من الواحد من غير حركة ولا زمان ولا مكان ، ولم يحتج الواحد في إيجادها إلى شيء آخر غير ذاته ، فكذلك حدوث الموجودات عن الباري تعالى ، بغير حركة وبغير زمان وبغير مكان وبغير أدوات ، ومن غير أن تحتاج في إيجادها إلى شيء غيره . وكما أن الواحد لا يوصف بأنه تقدم الأعداد بالزمان ، ولا يبطل ذلك أن تكون الأعداد محدثة عنه ، فكذلك الباري لا يوصف بأنه تقدم العالم بالزمان ولا يبطل أن يكون العالم محدثاً عنه . وكما أن الواحد لا يتغير عن الوحدانية بكثرة ما حدث من الأعداد عنه ولم يوجب ذلك تكثراً في ذاته ولا استحالة في جوهره ، فكذلك حدوث العالم وكثرته لا توجب تغير الباري في وحدانيته ولا تكثراً في ذاته »(١) .

وكذلك يمضي في التمثيل ليصل الى أن العالم محتاج في وجوده ودوامه لوجود الله ، فلو ارتفع لارتفع ، وأن الأمر ليس بالعكس فلو ارتفع العالم لم يرتفع الله ، كما هو الحال بالنسبة للواحد والأعداد الموجودة به . ومعنى هذا ، « أن وجود الله وجود مطلق لأنه لا يحتاج في وجوده الى غيره ، ووجود الموجودات كلها وجود مضاف لأن وجودها مقتبس من وجوده وفائض عنه(٢) » . أو بعبارة أخرى ، إن سريان الوحدة من الباري تعالى ، التي بها قوامه وتميزه عمن سواه للأشياء هو الذي كونها ، وأفاض الوجود على مراتبها وصيّر بعضها عللاً لبعض ، وهو تعالى علة وجود الجميع ، ولذلك سموه علة العلل والفاعل المطلق والفاعل بالحقيقة ، لأن فعل غيره إنما هو فعل بالمجاز(٣) » .

بهذا ، في هذه الناحية ، يرى البطليوسي أنه وفق بين الشريعة والفلسفة ، وذلك بالقول بالله الخالق للعالم من لا شيء ، وإن كان ذلك بطريق العلية المباشرة لأول موجود وغير المباشرة لسائر الموجودات الأخرى . وكذلك بالقول بأن حدوث العالم عن الله لا يقتضي تقدم الله عن العالم بالزمان كما هو الأمر بالنسبة للواحد والأعداد الموجودة به . وهذا ما لا يستتبع أن يقول بخلافه ، ما دام الله هو العلة الأولى لوجود العالم ، والعلة لا تتقدم بالزمان على معلولها كما هو معروف ومسلم عقليًّا ومنطقيًّا .

علم الله

في هذه المسألة نجد البطليوسي ينتقد من ذهب من فلاسفة المسلمين إلى أن الله لا يعرف غيره كالفارابي مثلاً ، أو أنه يعرف كل شيء ولكن على نحو كلي لا تفصيل فيه كابن سينا

---

(١) كتاب الحدائق ص ٣٦—٣٧ (٢) الكتاب نفسه ص ٣٦ (٣) الكتاب نفسه ص ٣٧—٣٨

مثلاً ، بمعنى انه يعلم الكليات لا الجزئيات ، كابن سينا مثلاً ، مستندين الى قول الفلاسفة القدماء : « إن الله لا يعرف إلاّ نفسه » . ثم يصف هذا الفهم لكلام القدماء أي اليونان بأنه جهل وسوء تأويل لكلامهم ، فانهم براء مما توهم هؤلاء عليهم (١) .

وبعد أن اجتهد في شرح هذه العبارة المأثورة عن الفلاسفة القدماء على أربعة أوجه ، وكل وجه ينتهي الى هذا المبدأ : « اذا علم نفسه فقد علم كل وجود تابع لوجوده » (٢) ، أخذ في التدليل على ان الفلاسفة أرادوا إذاً بذلك أن الله عالم بكل شيء ، إذ هو عقل مجرد عن المادة التي تمنعنا من إدراك الأشياء (٣) ، وأن القول بغير ذلك يكون تأويلاً سيئاً لعبارة الفلاسفة السابق ذكرها . ولكن ينتهي من هذا ، نراه يعني بابطال رأي القائلين بأن الله لا يعلم إلاّ ذاته ، والآخرين الذين ذهبوا الى أنه وإن كان يعلم الأشياء كلها ولكن ذلك على نحو كلي لا جزئي مفصّل (٤) ثم يستند في مناقشة هذه المذاهب الى ما جاء في القرآن من آيات تثبت علم الله الشامل لكل شيء : الكبير والصغير والكلي والجزئي ، مؤكداً أن ما جاء في هذا من أقوال الفلاسفة المتقدمين يطابق ما وردت به الشريعة (٥) .

تحبيب الفلاسفة اليونان للمسلمين

وهنا نرى من الخير أن نكتفي بالاشارة الى ما حاوله في المسألة السابقة مسألة علم الله ، من أن الفلاسفة اليونان كانوا يرون أن الله يعلم بكل شيء ، وأن ما قيل عنهم غير ذلك ليس مأتاه إلاّ من الجهل وعدم حذق علومهم وفهم كلامهم . ثم نشير الى ما ذكره في أثناء عرض رأيه ، أو بالأحرى الرأي الذي ارتضاه من الفارابي وابن سينا في مسألة وجود العالم عن الله ، من قوله : « فهذا مذهب أرسطوطاليس وأفلاطون وسقراط ، وغيرهم من مشاهير الفلاسفة وزعمائهم القائلين بالتوحيد » (٦) كما يؤكد ، عند الكلام على خلود النفس وعدم فنائها ، ان هذا مذهب سقراط وأرسطو وأفلاطون وسائر زعماء الفلاسفة (٧) .

ولسنا هنا في مقام بيان تخطئته في نسبته القول بالتوحيد وعلم الله الشامل لكل شيء الى سقراط وأفلاطون وأرسطوطاليس ، فلعل له عذره في أنه حكم بذلك بحسب الذي وصله عنهم ، ولكننا نشير الى أنه يرى بذلك أن يجعل الفلاسفة القدامى وآراءهم محببة الى المسلمين ، لأنها كما زعم لا تختلف عما جاء في الشريعة .

للبحث بقية

---

(١) كتاب الحدائق ص ٥١ (٢) الكتاب نفسه ص ٥١-٥٤ (٣) الكتاب نفسه ص ٥٥ (٤) الكتاب نفسه ص ٥٨-٦٠ (٥) الكتاب نفسه ص ٦٠ (٦) الكتاب نفسه ص ١٤ (٧) الكتاب نفسه ص ٦١

حلم الحكومة العالمية

بين الخيال والواقع

— ٢ —

للأستاذ صلاح الدين الشريف

يذهب المنافحون عن قضية الحكومة العالمية، من كتّاب السياسة وفقهاء الاجتماع، في هذا العصر، إلى وجوب الدعوة إلى « دستور عالمي » والتبشير بقانون أساسي موحّد يحكم المجتمع الدوليّ الذي ستنضوي أمم كافة تحت لوائه وتأتمر مختارة راضية بسلطانه وأحكامه، فيكون مثلها مثل المجتمعات الوطنية في خضوعها لأحكام دساتيرها القومية على تباين صورها وألوانها.

وكما أن الدستور الوطني يهدف أول ما يهدف إلى الحد من كل سلطة أو طغيان للافراد أو الهيئات أو الطوائف، يخشى منهما على الحريات الفردية أو الحقوق المدنية العامة، فان هذا الدستور العالميّ الموموق سيهدف أول ما يهدف إلى الحد من سلطان السيادات الوطنية المتنازعة، أو إلى محاولة اختزالها لتصل إلى الحد النسبي الذي يمكن معه أن تندمج فيما يجوز تسميته بسيادة عالمية واحدة تمنح لهذا الدستور العالميّ، أو بالحريّ لهذه الحكومة العالمية الجديدة التي سيكون لها هيمنة عليا لا تعلو عليها هيمنة أخرى من أي لون من ألوان السلطان، فتطمئن كل دولة مهما تكن صغيرة في عدد السكان محدودة في نطاق الموارد، إلى حقوقها الدولية في ظل هذا الدستور الذي ينظم تنظيماً جماعياً حدود هذه الحقوق والحريات. على أنه لا يجمل أن يفوتنا أن الاستقراء السليم للواقع التاريخي في متعاقب مراحله وأدواره، منذ أقدم العصور إلى اليوم، يجب أن يكون سنادنا الأول في رسم الحدود والاحتمالات والخطوط الأساسية لكل تخريج جديد لأي نظام من النظم أو أية مرحلة تشريعية من مراحل التطور التشريعي المرتقبة، سواء في الميدان القوميّ الضيق أو في الميدان الدوليّ الفسيح.

هذا الاستقراء ذاته لا يزال يؤكد بأدلته المادية من اجتماعية واقتصادية، بل وسيكولوجية، وهي أدلة كلها واضحة وناصعة، أن الانكار المطلق لسلطان السيادات القومية ليس ميسوراً أو جائزاً على علاته. وهو كما ظل في القديم حلماً من الأحلام لا يزال

في هذا العصر المتشابك العلائق والصلات موصولاً بمنطقة «اليوتوبيا» المجتفاة، وليس بصعيد الواقع الملزم للناس بقوة حقائقه ودويّ أحداثه؛ ومن ثمّ فان أي دستور عالمي يقوم على مبدإ إنكار السيادات القومية للاعتراف بسيادة عليا واحدة، أو الأدالة من مدى سلطانها الحاضر تمهيداً لأدماجها في سيادة عالمية واحدة، مثل هذا الدستور يعد بحكم منطق الاستقراء التاريخي السليم حلماً من الأحلام البعيدة التحقيق هو الآخر، لا في الحاضر فحسب، بل وإلى مستقبل زمنيّ بعيد.

وليس تخريج كهذا التخريج ضرباً من التشاؤم الممقوت، بل هو «واقعية» أمينة واستملاء صادق من صميم الاتجاه الحضاري الراهن الذي تنحوه البشرية اليوم وسط خضم زاخر من مشكلاتها وفوارقها وعديد أهوائها، بالرغم مما حاوله الرأي العام العالمي — إن جاز هذا التعبير — في عقبى حربين عالميتين زلزلتا قوائم النظم السياسية والاجتماعية فيه، أن يغطي على هذه الحقائق السافرة، بمثالية دولية قوامها هذا البريق الخلب، بريق العدالة العالمية ومنظمات الأمن الأممي «المسالح» على عهد العصبة السابق وعهد هيئة الأمم المتحدة الذي نعاصره ونشهد على مضض مهازله، كما شهدنا مهازل سلفه من قبل.

فلم يحدث إذن في أي دور من أدوار التاريخ السياسي المتلاحق المقدمات والنتائج، مثل هذا النكران الخيالي لسلطان السيادة، بل الذي حدث وثبت هو العكس، إذ ظلت سيادات الحكومات الوطنية تبرز تدريجاً إلى الوجود، وتتحدد معانيها وأصولها، بعد أن انبعثت هذه المعاني والأصول من صميم السلطان المضمر في وعي الجماعة أو في ضميرها الجمعي؛ وأخذت تبرز بسلطانها المادي في مظاهر خارجية بارزة ومحددة. وقواعد السيادة ومناشؤها التي يحدثنا عنها علم القانون الدولي، تكفل علم الاجتماع بطريقته التحليلية الخاصة بتبيان الأدوار والمراحل التي مرّت بها فكرة السيادة في المجتمع الانساني، منذ أن كانت السلطة الأبوية هي معيار الأحكام والقيم في المجتمع، قبل أن تتلاشى في المرحلة التالية التي عُقدَ فيها لواء السلطان للأم؛ وهكذا ظلت فكرة السيادة متدرجة المراحل والصور من مجتمعات ما قبل التاريخ حتى بلغت أوضاعها الراهنة في مجتمعات الحضارة، وتحددت قواعدها وأحكامها في الفقه الدولي الحديث.

ويحدثنا التاريخ أن المجتمعات التي يبلغ فيها التنظيم السياسي ذروته لا تألو جهداً في اقحام العنصر العسكري وسياسة النفوذ والقوة في مناهج حياتها الخارجية أو سياستها الدولية. ومثل هذه المجتمعات في هذه الناحية مثل المجتمعات البدائية أو المتخلفة نسبيًّا في مضمار التحضر، فالدولة ما أن تتوحد عناصرها ويشتد ساعدها وتحس قوتها، لا تلبث أن تطمح الى سياسة خارجية توسعية، فتحاول أن تمد سلطان سيادتها على جيرانها المستضعفين

لتسيطر عليهم بعد أن تقضي على سيادتهم بتمامها أو تحد منها إلى أبعد حد بحيث تصبح مجرد مظهر أو صورة ؛ كذلك مجتمعات أو أمم الهمجية والبربرية لا تعرف لنفسها سلطان السيادة إلاّ بعد أن تقضي بجحافلها وجموع همجها على سيادات غيرها من الأمم لتبني بعد ذلك سيادتها وسلطانها الأمبراطوري ، دام هذا السلطان كثيراً بعد ذلك أم لم يدم .

فالحد من سلطان السيادة أو محوه جملة لا يمكن أن يأخذ غير طريق واحد هو دائماً طريق غير مباشر، إذ أن هذا الحد أو المحو لا يمكن أن يتحقق إلاّ عن طريق فرض الدولة ذات السيادة قوتها وسلطانها على دولة أخرى فتفقدها سيادتها أو تحيل هذه السيادة كما قلنا مجرد صورة أو مظهر، بحيث تفقد هذه الأمة المسودة شخصيتها الدولية تماماً . أما أن تتنازل الدولة عن سيادتها جملة أو أجزاء ، عن طواعية ورضا ، فهذا ما لا يجوز تصوره بحال ولم يحقق إلى اليوم !

وأما أن يتم هذا الالغاء ،أو هذا التحديد لمدى سلطان السيادات ، عن طريق ادماجها جميعاً في ظل سيادة عالمية واحدة تمنح لدستور أممي عام ، فهذا أيضاً خيال من قبيل نظرية «العقد الاجتماعي» ، وإن يكن التعاقد ليس بين أفراد في هذه الحالة ، بل بين حكومات . ففي كلا الحالين لا يعدو الأمر حدود الخيال النظريّ العقيم الذي لا يستطيع أن يثبت أمام الواقع، أو يتماسك عند عرضه على محك التطبيق العمليّ . ولا يمكن أن يحتج في مثل هذه الحال بأن دستور الولايات المتحدة الأمريكية يعد مثلاً مصغراً لهذا التعاقد الموموق بين الحكومات ، إذ أن الحالة الأولى قد تم فيها خلق حكومة المجتمع القوميّ خلقاً بتعاقد إرادات فردية ، أما في الحالة الثانية فان حكومة المجتمع الدوليّ ستخلق خلقاً بتعاقد حكومات كانت لها نظمها السياسية ، الأمر الذي لم يتوفر ، بتمام المعنى الاصطلاحيّ الحديث المقصود بكلمة حكومة ، في سلطات الولايات الثلاث عشرة التي تألفت من مجموعها حكومة اتحادية ذات نظام دستوريّ معين، بعد مراحل من التطور السياسي والاجتماعي .

هذا إلى أنه فات هؤلاء المفكرين والباحثين أن الدستور في المجتمعات القومية يستلزم حالة من التماسك والاستقرار السياسيّ ، بله التضامن الاجتماعي و « السيكولوجي » بين أفراد المجتمع الواحد حتى يمكن أن تسري قواعده وتقدس مبادؤه إلى حد التضحية في سبيله . ومثل هذا التضامن الوثيق لا وجود له بالمجتمع الدوليّ ، ولن يكون له وجود ملموس في ظل الحقائق الراهنة التي لا نستطيع أن نجحد دلائلها الحاسمة .

فاذا قلنا إن حكومة عليا أو سلطة اتحادية عالمية من الميسور إنشاؤها أو تحقيقها بسبيل من التعاقد الاراديّ الحر بين حكومات العالم كله المشتركة في المنظمات الدولية اليوم، وعلى رأسها هيئة الأمم ، وجدنا أن ثمة حقيقة رهيبة تطل علينا بوجهها الكالح من خلال

أطياف هذا الحلم الجميل، وتتمثل في هذا الانشقاق المروع بين مبدأين رئيسيين يتقاسمان اليوم مصير الحضارة، ويخلقان جواً مشحوناً بالتوتر والقلق والريبة اصطلحنا على تسميته بالحرب الباردة، هذه الحرب التي بدأت تنفجر عن عدة أحداث جسام في الشرق الأقصى تنذر الانسانية وشيكاً بحرب عالمية ماحقة تندلع بين الشرق والغرب.

فالمبدأ الديمقراطي الحر الذي تنضوي تحت لوائه عشرات من الأمم السائرة اليوم في مدار السياسة «الانجلوأمريكية» والمنجذبة الى هذا المدار بوحي من ثقافته القائمة على المبادىء النيابية الحرة، هذا المبدأ إذا استطاع يوماً أن يجند هذه الأمم كلها، ليحقق بمجموع إراداتها الحرة تلك النقلة الدولية الجبارة التي تحيل نظام هيئة الأمم الحاضر إلى نظام سياسي آخر، له سلطان الحكومة العالمية ذات الاقتدار العسكري والتنفيذي المهيمن على الحكومات المندمجة فيه وعلى مصاير ميراثها الحاضري المشترك، فأنه لا يستطيع مع ذلك أن يجتذب إليه حكومة الاتحاد السوفيتي التي تخالف سائر هذه الأمم في جوهر النظام السياسي وفي طبيعة التوجيه الاقتصادي والاجتماعي لمقدرات وموارد الشعوب.

وما انشعابات الرأى الدائمة وأوجه الخلاف الجوهرية التي تثور من وقت لآخر حول موضوعات رئيسية وثانوية، بين الكتلة السوفييتية الشرقية والكتلة الديمقراطية الغربية في جلسات مجلس الأمن وفي أدوار انعقاد هيئة الأمم، إلا دليل بيّن وبرهان ساطع على أن طبائع الأشياء ذاتها ومنطق الحوادث في المجتمع الدولي الراهن ينحو بهذا المجتمع منحى آخر لا يتوافق البتة لأحلام هؤلاء اليوتوبيين من دعاة الدستور الدولي الواحد والحكومة العالمية الواحدة.

وإن ننس من الأشياء شيئاً فاننا لا نملك أن ننسى تهديد الاتحاد السوفييتي تهديداً جدياً بالانسحاب من هيئة الأمم، ومعه سائر الدول المنضوية تحت لوائه، إذا مس حق «الفيتو» بتعديل أو تحوير، ولو كان ذلك التحوير مقصوداً به صالح الهيئة وضمان حسن اضطلاعها بأعبائها الضخام في حفظ السلام والأمن الدوليين؛ مع أن الحد من سلطان هذا الحق ومن مدى استغلاله للصالح الشخصي للدولة بات في طليعة المعضلات التي تتطلب من ساسة العالم وقادته المبادرة إلى علاجها بشجاعة وحزم يحفظان على الهيئة هيبتها ويصونان لهذا العالم الوجل مؤسسته السلمية الكبرى. فاذا كان هذا شأن روسيا وسياستها من قضية انسانية بحتة تهدف إلى خدمة السلام ورعاية حرمانه، فكيف يكون شأنها وموقفها من مشروع حكومة عالمية موحدة تسلبها سيادتها لتندمج، وهي الوحيدة في نظامها ومنهجها الاجتماعي، وسط كتلة أو سلطة حكومية عالمية تكون فيها مسيحة

الرأي هزيلة الشخصية إزاء غالبية ساحقة من الدول الأخرى الأعضاء في مثل هذه الحكومة؟

واقتدار حكومة كهذه على الهيمنة العالمية المطلقة على مرافق العالم الاقتصادية وسياساته النقدية تعد في طليعة المهام المفروض اضطلاعها بها كوظيفة من وظائفها الرئيسية، لتجنيب العالم شدة أزماته وويلات حروبه وثوراته. فهل هذا أيضاً ميسور التحقيق في ظل الحقائق المؤلمة التي تسود المجتمع الدولي في مرحلته الراهنة والتي جعلت الاتفاقات التجارية الدولية وتوجيهات المؤتمرات الاقتصادية العالمية حبراً على ورق، مما نعتَ العملات النقدية لكثير من دول العالم الهامة بأوصاف عجيبة تتفاوت بين التعقيد واليسر أو بين السهولة والصعوبة؟

من الطبيعي أن الجواب على هذا لن يكون إلاّ النفي القاطع، فكما ان العالم منقسم اليوم على نفسه من ناحية المبادىء السياسية والمناهج الدبلوماسية والقيم الاجتماعية، فانه لا يزال منقسماً على نفسه كذلك من ناحية مذاهبه الاقتصادية وسياساته المالية والنقدية.

وخلاصة البحث في مثل هذا الموضوع تتركز في حقيقة واحدة هي أن القاعدة القانونية وحدها لا تستطيع كما ذكرنا أن تخلق نظاماً حكومياً دقيقاً وثابتاً بفضل تكامل أو تناسق أجزائه؛ فالسلطان في المجتمع السياسي يجب أن يكون انعكاساً أميناً لشخصيته وإرادته وتجسيداً صادقاً لضميره العام، فالمجتمعات السياسية هي التي تخلق كما قلنا الحكومات وليست الحكومات هي التي تخلق بمجرد وجودها المجتمعات السياسية. والسبب في هذا ظاهر بيّن، فكما أن مجرد التشريع والصياغة الفقهية الفنية لا يكفيان وحدهما لخلق نظام مرهوب الجانب أو سلطان دائم الاستقرار، كذلك الشأن بالنسبة للقوة المسيطرة، فانها وحدها — كائنا ما كانت طبيعتها أو وصفها — لا تكفي لخلق نظام كامل ودائم.

لم تبقَ إذن إلاّ قوة المجتمع، أي قوة الرأي العام للجماعة، أو بالحريّ قوة الارادة الكلية للمجموعة التي تسيطر عليها مشاعر وتقاليد متجانسة. هذه القوة هي التي تستطيع وحدها خلق النظام القانوني وسلطته الحاكمة. أما سبيل الطغيان والدكتاتورية فمحفوف دائماً بالمخاطر والصعاب، ولا تستطيع أية حكومة أو أي نظام قانوني يستند إلى مجرد القوة القاهرة أو الطغيان الغالب أن يصمد للعوارض المختلفة الناجمة عن رد الفعل الحتمي الذي يحدثه الطغيان أو القهر في نفسية المجتمع المغلوب على أمره المنكوب في حقوقه وحرياته.

وفي هذا يقول الباحث السياسيّ الكبير «إريك كاهلر»: «إن خلق حكومة عالمية مستندة إلى دستور عالمي كامل يكون جماع السلطات في المجتمع الدوليّ، عملية تشابه في عالم الأشياء الطبيعية عملية البناء المعماريّ، التي تتطلب عند التنفيذ إرساء طبقة الأساس السفلية لتقام عليها الجدران مستقيمة الأبعاد متوازية الزوايا. ومثل هذه الطبقة — أي

طبقة الأساس — تتمثل ، في المجتمعات الوطنية ، فيما سميناه بالنسيج الاجتماعي Social Tissue المتجانس الذي يخلق عناصر الوعي الجمعي ، وهو الوعي الذي تصدر عنه الارادة العامة الموجدة للسلطات في المجتمع . فأين هي هذه الطبقة ، أو أين هو هذا النسيج ، الاجتماعي المتجانس في المجتمع الدولي ؟ نعم إن المجتمع الدولي لايزال يمر بأدوار نشوئه الأساسية ، فمن غير الطبيعي إذن أن تتوشج خيوط هذا النسيج ، وهذا المجتمع لايزال في بداية تكونه ، وهذا حق ؛ ولكن من الحق أيضاً أن الطريقة أو الأسلوب الذي تصنع به النظم الدولية لا تزال طريقة ناقصة بعيدة كل البعد عن أن تساهم في خلق مثل هذا النسيج بله توشيجه وتأكيد عراه في الأمد الزمنيّ المعقول .

فاذا كانت أسس هذا المجتمع التي تثبت وجوده، ما زالت تعوزنا ، فلا أقل من أن نحول تيار جهودنا وأنظارنا عن الخيالات والمثاليات البعيدة ، لنكتفي بما في يدنا في عالم الواقع فنعكف على اصلاح وصقل هذا « البرلمان الدولي » الناشيء ذي الدستور الأعرج ، هذا البرلمان الممثل في « هيئة الأمم » بسائر وظائفها السياسية والاجتماعية والاقتصادية، كي نرأب من بنائه تلك الثغرات المعيبة ومواضع النقص الأساسية التي كشفت عنها التجارب الأخيرة المرة ، حتى يستقيم لنا النظام بكامله » .

ترى هل اهتدى ساسة العالم من ديمقراطيين وشيوعيين واشتراكيين إلى هذه الحقيقة وهل تراهم تركوا الخيال والنظريات أو قل الأنانية والتعصب جانباً ، وعكفوا بجد وصدق على اصلاح نظام الهيئة الحالي وتعديل نظامها الناقص بما يتفق وروح الحق والعدل في ظل هذا الواقع وظروفه لتساهم في خلق « نسيج اجتماعي متجانس » لمجتمع دولي يتضامن أبداً في احترام عقائد الشعوب ومذاهبها الخاصة في التنظيم السياسي والاجتماعي ، طالما أنها تهدف الى غرض سام ومرمى مشترك ، وهو المشاركة الفعّالة ، وبنية خالصة ، في بناء مجد الحضارة وتقديس ميراثها العام بكل قيمه ومثله ، وضمان السلام والحرية والرفاهية الاقتصادية للشعوب صغيرها وكبيرها على حد سواء ؛ أم أن حرباً عالمية أخرى لا بدّ من نشوبها ، كائنة ما كانت أهوال نتائجها ، كي تتم هذه النقلة التي تنقذ هذا المجتمع الدولي من حالة التفكك والانحلال الراهنة وتحقق له التكتل والوحدة الكفيلتين بمناصرة نظمه العالمية العادلة الحرة ، ورعاية ميراثه الحضاري المشترك .. عندئذ نستطيع أن نوقن بامكان خلق رأي عالمي حر يكون في مقدوره أن يتبين عن هدي وبصيرة أي شعوب الحضارة هو المسيء لها عن عمد وسوء قصد لنصرة صالحه الخاص ، وأيها هو الحفيظ على جلال الحق وحامي الذمار والحرمات .

ترى هل نستطيع أن نقول إن تيار الحوادث وموجة التطور تتجه نحو هذا الاحتمال الأخير .

الفلسفة والأدب

للأستاذ عبد السلام رسيم

بين الفلسفة والأدب وشائج يجمعها صدق الأدراك وسلامة التعبير . وأول ما نشأت الفلسفة نشأت في الدولة اليونانية القديمة، وعبّر عنها « فيثاغورس » بأنها البحث عن الحكمة.

ومن ذاك العهد البعيد صارت الفلسفة ترمز الى كل رأي مبتكر أو علم جديد . وفي نطاقها ترعرعت بحوث العلوم والأديان والمنطق .

وإذا كان « بلاتو » بعد « فيثاغورس » عناها بالاتجاه نحو الكمال ، فان « أرسطو » دلّل عليها بأنها العلم ، وأحياناً أجازها على أنها علم الكائنات الحية Ontology .

وظلت على تداول العصور يشوبها بالابهام والغموض ، حتى أنها اتخذت حجة للملحدين والخارجين على الدولة . وفي صراع النازعين اليها والمطاردين لها ، ذهب كثير من العلماء ورجال الدين ضحية الاتهام والتنكيل ، إما عن عداوة بين الحاكم والمحكوم وإما سعاية أريد بها الانتقام أو فتنة تثار بين الخاصة والدهماء .

وتقدمت العلوم واتسعت آفاقها ، وأصبحت الفلسفة مشاعة تتداولها العقول ، ولم تعد قاصرة على البحث عن الحكمة، بل تعددت مناهلها مع الاستزادة من المعرفة ، وصار ارتيادها والمناظرة فيها يعتمد على البحث عن الحقيقة .

وغلبت على الشرق الفلسفة الدينية كما في الفلسفة الهندية التي بنيت على الحياة بعد الموت . والفلسفة الفارسية كما في فلسفة « ماني » وصراع الخير والشر ، والفلسفة الإسلامية ، كما في فلسفة ابن سينا والفارابي والغزالي وابن رشد وموسى ابن ميمون وغيرهم .

أما في الغرب فيمكن القول بأنها انقسمت مع التطور الفكري الى أربع فلسفات . فلسفة سياسية وهي خاصة بنظام الحكم وقيادة الشعوب ؛ وفلسفة علمية وتخص جانب العلم المحض ومنها اشتقت علوم شتى كعلم النفس (السيكولوجيا) وعلم الأحياء (البيولوجيا)

وعلم وظائف الأعضاء (الفسيولوجيا) وغيرها من العلوم الحديثة. ثم الفلسفة الروحانية وهي الفلسفة الدينية وما وراء الطبيعة. فالفلسفة الأدبية وهي موضوع مقالنا هذا.

وقد نما الأدب على العاطفة وما يحسه الانسان من مشاعر في حالاته النفسية من حب وبغض، وفرح وغضب وضحك وبكاء، وشجاعة وخوف. وإنما دفعه اليها حاجته لسداد «مركب النقص» أو شفاء رغبته المكبوتة.

ويلتقي الأدب والفلسفة في الخصائص الانسانية فكلاهما يخلع على الوجود ما يجلو من خفايا أغواره العميقة المتباعدة. إلا أن الأدب (سواء في النثر أو الشعر) يفترق عن الفلسفة منصرفاً الى الشعور والتخيّل، بينما تتجه الفلسفة إلى التنقيب والتأمل.

ومتى كان الفيلسوف صاحب نظرية خاصة يعمل على تمحيصها وتحليلها بالمنطق والبرهان، فان الأديب لا يعلق بفكرة معينة. لأنه أبداً زائغ البصر، يعشق الشيء وضده، ويكره ما كان يحب ويحب ما كان يكره. فهو في جذوة مضطربة غير مستقر، لا يرى إلاّ بعينيه ولا يهدف إلا لما يهواه.

فطبيعة الفيلسوف الغوص وراء المجهول، وطبيعة الأديب التطلع الى ما يوحى اليه من أنماط وألوان.

ولقد عاش «شوبنهور وجوته» في عصر واحد وفي بيئة واحدة فشقي الأول بحياته وملكته عبادة «القوة» وأغرت الثاني الخيالات والأحلام فاستبدّت به عبادة «الجمال».

ومن الشعراء من تتسلط عليه روح الفلسفة والحكمة عندما تطول به السن وتصقله تجارب العمر. ومنهم من انغمس في الفلسفة إما بدافع نفسي كأن أصيب بنكبة جارفة قلبت الأوضاع في نظره، كما حدث للشاعر الايطالي «دانتي اليجيري» أثر وفاة معشوقته بياتريس»، والشاعر الفرنسي فولتير» بعد قطيعة العاهل الألماني «فردريك». والشاعر الانكليزي «جون ملتون» عقب فقد بصره وعزلته في الريف في أعقاب ثورة «كرومويل». والشاعر العربي الحكيم «أبي العلاء المعري» بعد فشله في «بغداد» واضطراره للقفول الى مسقط رأسه بالمعرة في الشام رهين المحبسين. وإما بدافع خارجي كعدم توافق الشاعر والبيئة التي يعيش فيها أو تحامله على الوالي كما حدث للشاعر الفرنسي «فيكتور هوجو» والشاعر الانكليزي «لورد بيرون» والشاعر العربي المعظم «أبي الطيب المتنبي».

على أن النزعة الفلسفية تظهر في قصائد الشاعر قبل أن تتمكن منه وتتغلغل فيها، كما ظهر في قول المعري وهو لا يزال يافعاً. ومن ذلك قوله في رثاء أبيه: —

جهلنا ، فلم نعلم على الحرص ما الذي   يراد بنا ، والعلم لله ذي المنّ
إذا غيّب المرء استسر حديثه   ولم تخبر الأفكار عنه بما يغني
تضلّ العقول الهبرزياتُ رشدها   ولم يسلم الرأي القوي من الأفن
وما قارنت شخصاً من الخلق ساعة   من الدهر إلا وهي أفتك من قرن
وجدنا أذى الدنيا لذيذاً ، كأنما   جنى النحل أصناف الشقاء الذي نجني
وخوف الردى آوى الى الكهف أهله   وكلف نوحاً وابنه عمل السفن

*

طلبت يقيناً يا جهينة عنهم   ولم تخبريني يا جهينُ سوى الظن
فان تعهديني لا أزال مسائلاً   فإني لم أعط الصحيح ، فأستغنى

وقد كان مثل هذا الشعر في وقته يعتبر جديداً في معناه وعده النقاد نوعاً من الغريب وإنما استساغته الافهام لخلوه من صيغة التعقيد التي برز فيها شعر البعض فجاءت أشبه بالنظم المرصوف . ولا يفهم من هذا أن أبا العلاء هو أول من استنبط هذه المعاني الفلسفية بل سبقه من قبل « بشار بن برد » و « أبو تمام » و « ابن الرومي » وغيرهم .

ومع ما في شعرهم من فحولة ورصانة فان العامة لم تألفه في زمانهم واعتبرته شيئاً بعيداً عن الشعر . وفي هذا يقول أبو تمام يخاطب الوزير الأديب محمد بن عبد الملك الزيات في قصيدته التي أولها : —

متى أنتَ عن ذهلية الحي ذاهل :

أبا جعفر ، إن الجهالة أمها   ولود ، وأم العلم جدّاء حائل
أرى الحشو والدهماء أضحوا كأنهم   شعوبٌ تلاقت دوننا ، وقبائل
غدوا ، وكأن الجهل يجمعهم به   أبٌ ، وذوو الآداب فيهم نواقل(١)
فكن هضبة نأوي اليها ، وحرّة   يعرّد(٢) عنها الأعوجي(٣) المناقل(٤)
فان الفتى في كل ضرب مناسب   تناسب روحانية من يشاكل

وفيها يمدح الوزير في أبياته المشهورة : —

لك الخلوات اللاء لولا نجيها   لما احتفلت للملك تلك المحافل
لك القلم الأعلى الذي بشباته   تصاب من الأمر الكلى والمفاصل

إلى آخر القصيدة .

---

(١) نواقل : ج ناقلة — القبيلة تنتقل الى أخرى فتبقى اليها (٢) يعرد : يهرب
(٣) الاعوجي : فرس منسوب الى بني هلال (٤) المناقل — سريع العدو .

نسائيات

زلال الحمل

للدكتور عبده رزق

إذا كنت تريدين يا سيدتي - وأنت - تريدين بلا شك أن تحتفظي بصحتك، وتبقي سالمة صحيحة وتقطعي مرحلة الحمل مطمئنة الفكر خالية البال دون أن يحدث لك ما لا تحمد عقباه، فنصيحتي اليك أن تعملي بما نشرحه في هذا المقال وتعيريه الاهتمام الذي يستحقه. والموضوع الذي أريد أن احدثك به اليوم من أهم المواضيع التي يجدر الانتباه اليها بالنظر لخطورتها، كيف لا، والزلال الذي لم يؤبه له أو لم يلتفت اليه ويعالج العلاج اللازم في حينه، مصيره السيء ولا ريب حدوث الارجاج النفاسي Eclampsie (١) الذي هو عبارة عن تشنجات مخيفة شبيهة بتشنجات الصرع والهستريا، مع حدوث عوامل أخرى وخيمة العاقبة كالنزف وراء المشيمة وغيره مما يعرّض حياتك وحياة جنينك إلى للخطر.

فوجود الزلال في البول أبان الحمل—ذاك الذي يتسبب خصوصاً من وجود الجنين

---

(١) يحدث الارجاج أو التشنجات النفاسية مرة واحدة تقريباً على ٥٠ ولادة، ويغلب حدوثه بنوع خاص عند البكارى وعند اللواتي أرحامهن حادة متمددة وانقباضاتها شديدة ويساعد على حدوثه في أثناء الحمل وجود الزلال والتورم. ويظهر المرض في معظم الاحيان ساعة الوضع، وقد يظهر في مدة الحمل أو على اثر الولادة. وقد يكون ظهور الارجاج أيضاً من غير أن تسبقه اعراض منذرة.

ويستنتج من بعض الاحصاءات الرسمية ان لكل ٣١٦ حالة من هذا المرض عند الحوامل ١٩٠ منها كان حدوثها في أثناء الوضع، و ٦٤ على أثره. ومن النادر أن النساء اللواتي أصبن بالارجاج مرة يصبن به أيضاً في الولادات التالية. هذا وللوراثة بعض التأثير في احداثه. فقد ذكروا أن عائلة بكاملها قد أصيبت به (الام وابنتاها أولا)، ثم الابنة الثالثة من نفس العائلة وهي في الشهر السادس من الحمل وقد نالت الشفاء. وأخيراً الابنة الرابعة: وهند لم يظهر عندها في أثناء الحمل أية علامة لوجود الزلال في البول، لكنه ظهر عندها فجأة قبل الولادة بخمسة عشر يوماً بنسبة عالية مما أدى الى وفاتها نتيجة التشنجات التي حصلت عندها في بداية الوضع.

في أحشاء أمه — من العوارض المهمة الخطيرة التي يجب الاهتمام بها والعمل على ملافاتها قبل أن يستفحل أمرها ويتعذر شفاؤها . فقد تكون السيدة مصابة بزلال عرضي يأتي من الحمل يزول بعد الولادة ، أو بزلال كان موجوداً عندها قبل الحمل كمرض برايط مثلاً Maladie de Bright مرض مثل هذا المرض يكون للسيدة وذويها علم به من طبيبها المعالج وتبقى مستمرة على اتباع المداواة نفسها كما كانت قبل الحمل . أو تكون مصابة بزلال منشأه التهاب أو مرض آخر في الكلى يعود سببه إلى البرد أو إلى الاصابة بالحمى القرمزية أو عدوى أخرى وقعت قبل الحمل أو في أثنائه . فهذه الحالات لا تهم كثيراً ، غير أنه يجب الالتفات اليها لأنها تزيد عادة في وطأة الزلال عند الحامل . ولكن أكثر حالات الزلال خطورة هو الذي يتسبب ، كما قلنا ، من وجود الجنين في أحشاء أمه ، وتبدو حينئذ نتائجه الوخيمة سواء قبل الوضع أو في أثنائه ، ومنشأ ذلك كله امتصاص الدم للسموم التي تسبب تلك التشنجات . والزلال نفسه نراه يزداد في أثناء الحمل في البداية إلى النهاية ويساعد على حدوث نزف دم غزير عند الحامل مما يضع الطبيب المولد في مأزق حرج ولا يدري ماذا يعمل في غالب الاحيان حيال هذه الحالة ولا سيما حيال اعراض التشنج المشار اليها .

﴿أعراضه المنذرة﴾ أهم العلامات التي تنبئنا بوجود الزلال في البول بصورة لا تقبل الجدل هي أن تشكو الحامل من تعب زائد في جسمها وصداع مستديم وأوجاع في أسفل البطن وفي منطقة الفقرات القطنية ، واختلاجات عضلية ، ودوار ، وتشوشات الرؤية ، والتقزز وفقد الشهية إلى الطعام ، والقيء ولا سيما إذا ظهر تورم في الوجه والجفون واليدين والرجلين مع ازدياد في ضغط الدم فيجب حينئذ أن تشك في أمرها . ثم تأتي بعدئذ نتيجة فحص البول الايجابية فيتأيد لك إذ ذاك أن السيدة المشار اليها مصابة بالبيلة الآحينية Albuminurie

وليس ضرورياً أن تكون جميع هذه العلامات موجودة للاستدلال على وجود الزلال في البول ، بل ان علامتين أو ثلاثة منها تعتبر كافية لتحذيرنا وتنبيه فكرنا للقيام بالعلاج السريع .

ومما تجب الاشارة اليه هو أن زلال الحمل لا يرافقه في أغلب الأحيان أي اذى أو التهاب في الكلى ولذا نجهل السبب الحقيقي لوجوده في البول : هل ذلك عائد إلى استعداد خاص في مزاج المصاب ، أو إلى رداءة حالته الصحية ، أو إلى وجود عائق ميكانيكي عنده (ورم مثلاً) أو أخيراً إلى ضغط دم ؟ الخ ... والغالب أن امتصاص الدم

المسموم ابان الحمل، كما قلنا، هي التي تسبب تلك الحالة الخطيرة عند بعض الحوامل.

«سيره» يختلف هذا باختلاف حالة المريض، ففي بعض الأحيان يكون الزلال عرضيًا وتزول أعراضه بفضل المداواة والعلاج وان كان يعتري الحامل احيانًا بعض أدوار خطرة نسبيًا. وفي احيان أخرى يأخذ المرض شكلاً متقطعاً وتظهر فعلاً على الحامل امارات التحسن أو الشفاء، لكنه يعاودها أو يهاجمها في كل حمل جديد، فهذه الحالة هي التي يلاحظ فيها خصوصاً موت الجنين خارج الرحم، وإذا ولد هذا فيكون هزيلاً ضعيفاً ناحلاً. ومع ذلك فهو ينمو ويترعرع في المستقبل كالاطفال الآخرين.

«علاجه» تدابير واقية يتحتم على كل حامل مهما تكن حالتها الصحية أن تفحص بولها فحصاً منتظماً حينما تشعر بحملها للتثبت من وجود الزلال فيه أو عدمه، وتستمر على هذا الفحص طيلة مدة الحمل دفعاً للمفاجآت وعواقبها الخطيرة المعرضة لها؛ وبذلك تبقى في حرز حريز من غوائل هذا الداء وتصون حياتها وحياة طفلها. وانه لعمر الحق أمر بسيط جدًّا في حد ذاته لكنه ضروري في أهميته. ولحسن الحظ نرى كثيرات منهن يدركن هذه النقطة الهامة ويبادرن حالاً لمراجعة الطبيب لمعرفة ما إذا كان يوجد عندهن زلال في البول مهما تكن أسبابه وبواعثه. وعلى كل يجدر بكل حامل أن تراجع الطبيب في مدة الخمسة أشهر الأولى مرة في كل شهر، وفي الشهرين السادس والسابع مرتين شهريًا، وفي الشهرين الثامن والتاسع مرة واحدة في كل اسبوع وتستمر على ذلك ما دام الزلال موجوداً.

وعندما تكون نسبة الزلال عالية في البول فعليها ألاّ تتناول سوى اللبن الحليب لمدة ثمانية أيام وتتجنب جميع المواد الزلالية كالبيض واللحوم. وإذا كانت نسبة الزلال في البول خفيفة فتبقى مستمرة على تناول الحليب كالعادة ويسمح لها في الوقت نفسه بأكل الخضر والبقول واللحوم البيضاء (كالأسماك والدجاج ولحم العجل والحمام) والفواكه بكثرة، وتشرب الشاي والقهوة الخفيفة، وإذا تعذر عليها تناول اللبن الحليب وحده فيمكنها أن تستعيض عنه بماء افيان أو ماء فيشي وغيرهما من المياه المعدنية، أو أن تتناول اللبن الحليب ممزوجاً بالمياه المعدنية. وتتحاشى كذلك الأطعمة المملحة مهما تكن نسبة الملح فيها ضئيلة. وتحترس خصوصاً من البرد، وتستعمل المسهلات بين وقت فآخر، وتكون حياتها مريحة هادئة.

فاذا اتبعت ياسيدتي هذه الارشادات بدقة وعناية تبقى في مأمن من ويلات هذا الداء الذي طالما أودى بحياة الكثيرات من بنات جنسك نتيجة الجهل والاهمال.

باب المراسلة والمناظرة

أرتريا الجديدة

للدكتور أحمد زكي أبو شادي

إن روح الاسلام في صميمها جمهورية اشتراكية. وقد أبى نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم ملك الاسلام حينما عرض عليه ، وفي الواقع كان بدء الانحلال في المسلمين (وإن بقي زمناً طويلاً مستوراً) منذ استبدلوا النظام الجمهوري — نظام الانتخاب الصحيح — بالنظام الملكي الوراثي . ومن شاء زيادة الاطلاع فليقرأ سيرة الصحابيّ الجليل أبي ذر الغفاري ، وليطالع بإمعان كتاب (من هنا نبدأ) لفضيلة الشيخ خالد محمد خالد المعدود من أحصف علماء الدين المستنيرين بمصر . وهو كتاب يجب أن يكون بين يد كل مسلم متعلم في ارتريا ، بل جدير بأن يكون دستوراً للمصلحين الاجتماعيين والدينيين فيها .

وقد كنت أتمنى أن أكون في طليعة المهنئين لاخواني الارتريين باستقلالهم وبجمهوريتهم المدنية الجديدة المؤسسة على أحدث المبادىء العصرية .

أما وهذه الأمنية الجميلة لم تتحقق فلي أن أهنئهم على الأقل بنجاتهم من شر التقسيم الوبيل الذي كان سيقضي على وطنهم العزيز ويجعله نسياً منسيًّا ، والذي لم يعضده أي وطني بصير نزيه .

وإذا كان النظام الفدرالي الذي أقرته (هيئة الأمم المتحدة) هو في اعتقادي وفي اعتقاد كل منصف دون ما تستحقه ارتريا ، إلا إنه مع ذلك يعطيها استقلالاً داخليًّا كاملاً ويضعها في مستوى أحسن مما كانت عليه مصر حتى سنة ١٩٢٢ . وإذا أحسن الزعماء الارتريون الاستفادة من هذا الاستقلال الداخلي وحرصوا على نزاهة الحكم وعلى الوحدة الوطنية وسابقوا الزمن في ادخال الاصلاحات الحديثة من اقتصادية وتعليمية فلا مشاحة أنهم سينهضون بارتريا نهضة عظيمة تجعلها في الصف الأول بين الأمم الاسلامية .

وأولى هذه الخطوات أن يكون لارتريا دستور علماني صرف مثل الدستور الأمريكي ،

وأن لا ترتكب الغلطة الفاحشة التي ارتكبتها مصر حينما لم تفصل الدين عن الدولة فمزقت بذلك وحدتها الوطنية .

أما ثانية هذه الخطوات فالنهوض باقتصادياتها، وهذا يعني إدخال نظام الري والاصلاح الزراعي الحديث والصناعات الميكانيكية والكهربائية . ولتحقيق ذلك لابد من الاتجاه الى ثلاثة أقطار . الولايات المتحدة الأمريكية للانتفاع ببرنامج « النقطة الرابعة » المنسوب الى الرئيس ترومان وللاستفادة من خبرائها الفنيين القديرين ، وباكستان ومصر للاستفادة من مهندسي الري فيها المتمرنين على حل مشاكل مثيلة لما تواجهه ارتريا الآن وهذا يعني إرسال بعثة اقتصادية اسمية تزور هذه الأقطار الثلاثة للتفاهم على العون المطلوب وهذا أمر لا يتعارض مع النظام الفدرالي لأنه لا يمس الشؤون الحربية ولا السياسية الخارجية بصورة من الصور ولابد من الاهتمام بحسن تصريف حاصلات ارتريا مع زيادة منتوجاتها جنباً الى جنب.

أما ثالثة هذه الخطوات فتعميم التعليم المدني المصري في القطر . وللمعاونة على تحقيق ذلك أقترح إرسال بعثة ملائمة الى وزير المعارف المصرية الدكتور طه حسين باشا ، فان هذا الرجل « الانسان » لن يبخل باعارة ارتريا الرجال الفنيين اللازمين ، وكذلك قد تفعل الباكستان . وربما تمكن الدكتور طه حسين باشا من تأسيس معهد أو مدرسة ثانوية في أسمرا نظيرة للمدرسة الثانوية المصرية في الخرطوم . هذا الى جانب تعليم الحرف والصناعات والتعليم التجاري مما لا غنى للأمة عنه .

والى جانب الجهود الرسمية يجب على جماعة المثقفين الارتريين أن تهتم بنشر المؤلفات الصغيرة المفيدة على جمهرة الشعب كما تفعل (دار العلم للملايين) في بيروت مثلاً ، حتى يمكن رفع مستوى الشعب الفكري رجالاً ونساء بأسرع ما يمكن ، ولابد من اصدار مجلة أدبية راقية مثل مجلة (البشير) في باكستان أو مجلة (العرب) في الخليج الفارسي أو مجلة (الكتاب) في مصر أو مجلة (الأديب) في لبنان.

وخير ما يمكن الانتفاع به من بريطانيا هو دراسة نظامها الاشتراكي المعتدل وكذلك نظام الجمعيات التعاونية والاقتباس منهما ، فهما يتفقان وروح الاسلام التقدمية . ومن الحكمة كل الحكمة تجنيب ارتريا الجديدة ويلات الرأسمالية حتى لا تنتقل من استغلال سياسي الى عبودية اقتصادية .

وأخيراً أقول لاخواني الارتريين الأعزاء :

ولطالما بنت الشعوبُ حياتها بثباتها ، وهوى الردى بحرابه
إن الزمانَ حليفُ كل مجاهد والصبرُ قبل السيف من أصحابه

التقويم الزراعي

لشهر مارس ١٩٥١

---

(١) — ﴿ الحاصلات الزراعية ﴾

البرسيم — يستمر رعيه ويعمل الدريس

الفول — يبدأ في ضمه في أواخر الشهر وبالأخص في الوجه القبلي .

القمح والكتان — يروى وتنق الحشائش

القطن — تستمر الزراعة والترقيع (والخربشة) والري

القصب — تستمر زراعة الغرس . كسر المحصول السابق مع حرق (السفير) . ري الخلفة الأولى فج خطوط الخلفة .

الأرز — تجهز الأرض ويعد المشتل .

(٢) — ﴿ البساتين ﴾

(ا) — الفاكهة : يستمر نقل وزراعة الأشجار . تعزق الأرض خفيفاً لتغطية الشقوق والابقاء على الرطوبة . تسمد الأرض بالأسمدة الأزوتية قبل ازهار الأشجار الري . غرس الشتلات . التطعيم .

(ب) — الخضر : زراعة البقل والبطيخ والشمام والخيار عروات جديدة . شتل الباذنجان والطماطم والفلفل . تزرع عروة مبكرة من بزر الكرنب والقرنبيط (في أواخر الشهر) . يمكن الاستمرار فى زراعة بذور الكرفس

(حـ) — الأزهار : تزرع بذور الحوليات الصيفية . تنقل عقل الأراولة التي زرعت فى ينـاير الى قدور (قصار) أكبر . تتكاثر الأشجار والشجيرات بالبزور والخلفة والعقلة .

(٣) — أهم الآفات : يبدأ نشاط دودة القطن فى البرسيم والدودة القارضة والتربس فى القطن ، ويجب المبادرة بالعلاج.

* *

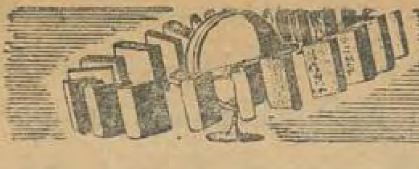

مكتبة المقتطف

النشر العلمي للتراث العربي

زبدة الحلب من تاريخ حلب

ألفه : الصاحب كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله « بن العديم »
حققه ووضع فهارسه : الدكتور سامي الدهان — نشره : المعهد الفرنسي بدمشق للدراسات العربية
الجزء الاول : ٣٦٤ + ٨٠ صفحة من القطع الكبير وثلاث لوحات — المطبعة الكاثوليكية في بيروت سنة ١٩٥١

عرض وتحليل : **للأستاذ حسن كامل الصيرفي**

لم يعد خافياً على نفر من أهل الفكر في الشرق العربي أن من أوجب الفروض عليهم القيام بنشر تراث الفكر العربي في عصوره الغابرة . إذ ليس من الخير لنا أن نقطع ماضينا قطعاً ، وفي ماضينا ما هو خير من كثير في حاضرنا . كما أنه ليس من الفخر لنا أن تكون عناية الغرب منذ قرون بماضينا ، تلك العناية الواسعة التي بذلها السلف الماضي من خيرة المستشرقين باحياء كثير من آثارنا الفكرية في شتى نواحي المعرفة .

نعم ، ليس من الخير أن نقطع صلتنا بالماضي المجيد ، وليس من الفخر أن يقوم الغريب باحياء آثارنا وبعث تراثنا ونشرها نشراً علمياً صحيحاً ، يشترك في ذلك الأفراد والجماعات التي تؤازر هؤلاء الأفراد ، ولا نستطيع نحن ذلك بالتكاسل من ناحية وتقاعس الهيئات التي يجب عليها مؤازرة مثل هذه الجهود من ناحية أخرى ، فلا ينهض بذلك إلا الورّاقون الذين يقفون أمام كل رغبة يبديها المحقق الباحث .

ونحن أزاء ذلك لا نستطيع أن ننكر جهود المستشرقين فيما نشروا وحققوا من مخطوطات نوادر ، ووضعوا الفهارس التي تقرّب للباحث بغيته ، فلا يضل في متاهات البحث .. ذلك كان جهد السلف الماضي من المستشرقين ، أما المحدثون منهم فقليل من

تتبّع الركب الأول في طريقه . فأصبح لزاماً على أبناء العربية أن ينهضوا بهذا العبء ، ولهم من البصر بفهم أسرار اللغة ما كان يؤخذ من أسباب النقص على بعض المستشرقين .

وعندي أن النشر العلمي لكتاب لا يقل في مجده الأدبي عن التأليف إن لم يزد في بعض الأحيان ، فان ردّ أصل مشوّه الى حقيقته وأظهار ما طمس الزمن عليه ليس بالجهد الذي ينكر أو يجحد أو يوضع في مرتبة أدنى من مرتبة التأليف، ذلك أن في هذا العمل إعادة تأليف الكتاب من جديد، وطيًّا للقرون العابثة بالأثر لنشره نشراً جديداً فيه معاني الخلود .

وأنه لما يبعث على السرور أن ينهض نفر — وان كان قليلاً -- من الباحثين بهذا الواجب ، وفي طليعة هؤلاء صديقنا العالم المحقق الدكتور سامي الدهان . فهذا الرجل ذخيرة من شباب وثاب طموح ، وفكر متقد لماح ، وبصيرة نفاذة نقادة ، وعلم واسع الأطراف ، واطلاع بعيد المدى ، وهمة لا تعرف الكلال والملال . فلقد أخرج منذ عامين ديوان أبي فراس الحمداني ، ولم يكد الكتّاب يفرغون من درسه والكلام عنه حتى نشر كتاب الوزير أبي القاسم الحسين بن على المغربي « في السياسة » ثم أعقبه بنشر ديوان « الوأواء الدمشقي » الذي ما زالت تتحدث عنه أندية الأدب .

وما كاد العام الحالي يطل على العالم حتى كان الدكتور الدهان يسلم اليه نخبة من تحقيقاته الجديدة ، سنعرض واحداً منها ، وهو الجزء الأول من كتاب « زبدة الحلب من تاريخ حلب » لابن العديم ، لينشر على الناس بعد حين التاريخ الكبير الذي وضعه ابن العديم لحلب والذي انتزع منه « الزبدة » مرتبة على السنين ، وهو « بغية الطلب في تاريخ حلب » مرتباً على حروف المعجم في أربعة عشر مجلداً . وهذا الى جانب النواحي الأخرى التي يرعاها ويعمل على تحقيقها ، وهي آثار شعراء العهد الحمداني وغيره من النفائس .

ومن أطلع على أول أثر نشره الدكتور سامي الدهان — وهو ديوان أبي فراس الحمداني لهاله ما عنّى به نفسه في المقدمة الفرنسية ، وهي الرسالة التي قدّمها لجامعة باريس فظفر بدكتوراه الدولة ، فانه أشار في تلك المقدمة الى عدد كلمات الشاعر الى جانب بيان عدد أبياته في كل فن من فنون القول . فهذه الاحصاءات تمثل لهذا الجهد تتبين منه بوضوح مدى الاهداف البعيدة التي يضعها نصب عينيه ، بله هذا العدد الضخم من مخطوطات الديوان وقد بلغت أربعين نسخة موزعة في مختلف بقاع الارض ، راجع عليها نصوص الديوان وأخرجه في أتم أصول التحقيق العلمي .

هـذا هو الناشر الذي وهب حياته لتراث خالد، وهو الذي حمل الآن الراية التي كان المستشرقون يباهوننا بحملها في نشر الثقافة العربية.

•

أما المؤلف الذي أرضى الناشرُ المحقق روحَـه بعد سبعة قرون على انتقاله من الوجود فهو القاضي، العالم، السفير، الأديب، الشاعر، المؤرخ المولى الصاحب كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله المولود عام ٥٨٨ هـ والمتوفى سنة ٦٦٠ هـ الذي قال فيه ياقوت «لم يعن بشيء إلاّ وكان فيه بارزاً، ولا تعاطى أمراً إلاّ وجاء فيه مبرّزاً». وقال فيه ابن شاكر الكتبي «كان محدثاً فاضلاً، ومؤرخاً صادقاً، وفقيهاً مفتياً، ومنشئاً بليغاً، وكاتباً محموداً ودرّس وأفتى وصنف، وترسّل عن الملوك، وكان رأساً في الخط لا سيما النسخ والحواشي».

وقد أطلعنا الدكتور الدهان في المقدمة النفيسة التي قدّم بها للكتاب على الجوانب المتعددة من حياة ابن العديم، فها نحن معه حين ولي التدريس وعمره ثمان وعشرون سنة في مدرسة شاذبخت، وهي من أجل مدارس حلب، وفي تلك المدينة من فيها من شيوخ العلم الراسخين، ولكن مكانة ابن العديم الرفيعة جعلته في مكان الصدارة، ونراه بعد ذلك قلد القضاء فكانت مكانته عند الملوك والأمراء والخلفاء لا تقل عن مكانته بين رجال العلم والأدب، فقد «كانت المراسيم تقام للصاحب، فلا يدخل عليه إلاّ من يؤذن له، ويقدم إليه السلطان الهدايا فيوزعها ابن العديم فيمن حضر».

ثم نراه في سنة ٦٥٤ هـ — على ما رواه أبو الفداء — «رسولاً من الملك الناصر يوسف صاحب الشام الى الخليفة المستعصم، وصحبته تقدمة جليلة، وطلب خلعة من الخليفة لمخدومه». كما نراه مرة أخرى «رسولاً من صاحب دمشق الناصر بن العزيز يستنجد المصريين على قتال التتار بأنهم قد اقترب قدومهم الى الشام».

ويعرض علينا الدكتور الدهان رأي الشعراء فيه، وما مدحه به بعضهم كالجزار والبهاء زهير وغيرهما ليحدثنا بعد ذلك عن شعره الذي رواه ياقوت، وكان ابن العديم لم يتجاوز الثلاثين من عمره، ثم مات ياقوت قبل ابن العديم فلم يحفظ التاريخ شيئاً غزيراً من شعر الرجل يمكن به أن يستدل على طريقته بعد الثلاثين.

على أن الدكتور سامي لم يفته النظر فيما نشر من شعر الرجل، فهو إذ يعرض علينا صوراً من شعره في الغزل، ينتهي منها الى الحكم عليه بأن أغراضه في هـذا الباب

« كأغراض الشعراء الذين عاصروه سواء بسواء لا يختلف عنهم ولا يختلفون عنه ، رقة ديباجة ومتانة سبك ، وجمال استعارة وتشبيه » .

أما الفخر عنده فهو « الصادق الذي لا تلتمع فيه سيوف ولا تعطى منه دماء ولا تبدو فيه حمر النعم ، فلم يكن أجداده ممن دخلوا الحروب .. وانما هم قضاة تولوا الحكم بين الناس فأناروا سبل الحق ... وهم خطباء فصحاء وكتّاب بلغاء . . وهم يستنّون سنة الشريعة السمحاء فهم صالحون مخلصون ... وهم الى جانب ذلك كرماء من أسرة شامخة الذرى في العلم والدين والتقوى والندى من بني عقيل » . . ولا يرى « في أسلوب الفخر عند ابن العديم مماظلة في اللفظ ، فهو ينظم في الفخر كما ينظم في الغزل في عبارات سلسة هينة تجري مجرى الشعر الفصيح الرقيق ولا تختلف عن أسلوب النثر الرفيع إلاّ في تحليق الخيال وسمو الموسيقى وجلال القافية في ترتيب وتدرج وتماسك وارتباط مع أن عصره زخر بالنظّامين المتحذلقين » . . هذا في غزله وفخره . أما في إخوانياته ورثائه الذي لم يصل منه إلاّ قصيدة رثى بها بلده حلب بعد أن مر التتار به « فتركوا على كل بقعة فيه بصمات أصابعهم المجرمة » فهو ينطق في هـذين اللونين من الشعر عن شاعرية غير متكلفـة ولا متصنعة .

هـذا عن شعره ، أما عن نثره فيقول الأستاذ الدهان إن « من قرأ كتب ابن العديم النثرية وجد أنه ناثر بليغ كما وجد في شعره أنه شاعر مجيد ، في لغة قوية وبيان متمكن يقع من اللغة وفصاحتها موقع الفحول المبرّزين » .

ولقد رأينا فيما مر صوراً لابن العديم كقاض عالم واستاذ حجة وسفير حكيم وشاعر ناثر . وبقي أن نرى الصورة التي رسمها له الدكتور الدهان كمؤرخ ، فهو في تاريخه الكبير لحلب « لم يثبت خبراً إلا ذكر المصدر الذي استقى منـه ، ولم يورد شعراً إلاّ وصف لنا الديوان الذي وصل إليه أو الكتاب الذي قرأه فيه ، ولم يسرد حديثاً أو حكاية إلاّ قال : سمعتُ ، وقرأت ، وأخبرنا ، وحدثنا ، وحضرت وشاهدت ، وأنبأنا ، وقال لي عمي ، وقال لي الوزير ، وقال ابن العجمي ، ووقع إليّ من كتاب فلان ، وسيّر إليّ القاضي أبو محمد الحسن بن ابراهيم الخشاب أوراقاً بخطه ذكر أنه نقلها من فلان وفلان ... إلى أقصى ما يستطيع أن يصنعه رجل ثقـة ومؤرخ حجـة ومحدّث ثبتٌ وقاضٍ منصف حين يعمل التاريخ » .

ولقد كان ابن العديم « منصفاً في تاريخه ، حيادياً في تآليفه ، ذكر المسلمين بما فيهم

من عيوب وما لهم من فضائل ، وبسط الأمر في انكسارهم وفصله في انتصارهم ، لم تقع له على مدح متجاوز أو قدح مغرض ، ولم نرَ في أسلوبه أثر العاطفة الدينية والسياسية والاجتماعية » حتى أنه لم يأخذ عليه واحد من المستشرقين الذين نظروا في كتاب الرجل «تحزبه أو تعصبه أو خروجه عن حدود التأريخ العلمي ، فهو يروي حوادث الصليبيين في حياد — وهو قاضي المسلمين — كما يرويها مؤرخوهم حين ينشدون وجه الله والحقيقة »

وإلى جانب هذه الفضائل في ابن العديم المؤرخ فان له فضيلة أخرى « ذلك أنه مؤرخ حقًا ينقل لنا العبارات المتداولة واللهجات السائرة ، والأقوال والحوار كما جاءت في القديم ، فهو بذلك مرجع لمن يريد أن يدرس اللغات واللهجات على ممر القرون واختلاف البقاع والمناطق والأديان والمذاهب »

ذلك هو المؤلف الذي شهد أثرُه بعثَه على يد مواطنه « سامي الدهان » بعد سبعة قرون بعثًا فيه كل معاني القوة والحياة والخلود .

وقد ذكر الناشر في مقدمته القيمة مؤلفات ابن العديم فحلل ما حفظه الزمن سليماً — ومنه ما هو نادر الوجود حصل الناشر نفسه أو اطلع على مخطوطه النادر — تحليلاً دقيقاً وأشار الى المفقود منها إشارة تكاد تقربه الى أعيننا .

●

أما الكتاب الذي نشر على الناس كاملاً فهو فنٌّ من فنون التأليف الذي برع فيه العرب وسبقوا به كثيراً من الأمم ، وانقطعنا نحن عن متابعة أسلافنا في هذا الفن ، وهو التأريخ لبلد ما والترجمة له ، فالخطيب البغدادي يؤرخ لبغداد ، وابن عساكر لدمشق ، وابن العديم لحلب وابن اياس الأزدي للموصل ، وابن تغري بردي للقاهرة ، وغير ذلك . وألف ياقوت معجم البلدان ولم يكتف بتحديد موقع البلد والتعريف به بل أنه ليذكر من نشأ في كل بلد من مشاهير الأعلام وما قيل من الشعر في ذكر البلد . ونحن في أشد الحاجة الى البحث عن آثار السابقين من أعلامنا في هذا الباب ونشرها على الناس اذا لم تكن لدينا الرغبة في الانقطاع الى التأليف فيه .

« وزبدة الحلب » هي ثاني كتابين ألفهما ابن العديم عن موطنه أراد بها الرجل «أن يصف موقف حلب السياسي بين المنازع السياسية المختلفة في ذلك العهد والتيارات المتباينة طوراً تدفع المصريين عن حلب ، وطوراً تدفع الروم ، وحيناً تخرج على الخلافة ببغداد وحيناً تخضع لها . ويصف الهدايا والرسائل التي كانت تقرب بين الممالك ، ويذكر أسباب

النزاع والتخاصم ، وشروط المدنة وأخبارها » .

فأما الجزء الأول الذي نشر من أجزاء الزبدة الثلاثة فيبدأ بالكلام على المدينة في قديم الزمان ، وذكر تسميتها واشتقاقها . وذلك من لدن كان ابراهيم الخليل يضع أثقاله على تل قلعتها ، ثم ذكر من بناها ، ويظل المؤلف يساير موكب التاريخ في خطواته الى الفتح الاسلامي، فنرى البطل الاسلامي خالد بن الوليد يشق للمسلمين الطريق الى حلب بعد حرب عنيفة مع الروم ، ثم يمر بها ما يقرب من قرن من الزمان وهي تشهد عصر الأمويين حتى يسير مروان بن محمد – بعد مبايعة أبي العباس السفاح – منهزماً حتى عبر الفرات من جسر منبج ، ويبدأ عصر بني العباس وتظل المدينة الخالدة تشهد بعد قرن آخر معارك دامية بين جيوش أحمد بن طولون وولده من ناحية، وبين العباسيين من ناحية أخرى الى أن تنتهي الدولة الطولونية وتبدأ الدولة الأخشيدية ثم يشرق على المدينة عهد زاهر حين يقوم الأمر لبني حمدان ، ونرى هذه المدينة وقد دخلها سيف الدولة الحمداني في سنة ٣٣٣ هـ ، فتعود حروب الاسلام مع الروم متجددة ، ويظل لحلب مجد خالد يرفع شأنه الصارمان : السيف والقلم، حتى ينطوي عهد الحمدانيين وتقع في قبضة المغاربة المصريين ، والمؤلف ينتقل بنا من عصر الى آخر حتى ينتهي الجزء الأول من كتابه بعد الكلام على المرداسيين حتى استيلاء محمود بن نصر بن صالح بن مرداس على المدينة في سنة ٤٥٧ هـ .

ومن يقرأ أسلوب الرجل التاريخي في هذا الكتاب يعجب للروح القريبة كل القرب من الروح العلمي الحديث في تناول التاريخ ، ولذلك لم يكن عجيباً أن يهتم المستشرقون بالرجوع الى ابن العديم حين ترجموا من « البغية » و « الزبدة » ونقلوا عنهما ، وحين نشروا سنة ١٨٨٤ قسماً غير قليل من « البغية » في مجموعة الحروب الصليبية .

ولقد لقيت « الزبدة » من عنايتهم حظًّا أوفر مما لقيته البغية ليسر الحصول على نسختها الموجودة في باريس وتفرّق أجزاء « البغية » في مكتبات العالم . وقد أوضح الدكتور الدهان مختلف أطوار العناية التي لقيتها الزبدة ، ولكن ما نشره المستشرقون من فصول اقتطعوها منها ، وما ترجموه الى اللاتينية أو الفرنسية أو الألمانية أصبح نادراً يعسر الحصول عليه علاوة على أن المنشور مبتور ، فدعا الحافز الوطني من ناحية والرغبة العلمية من ناحية أخرى ابن حلب الوفي ناشر الكتاب ومحققه الى العناية بهذا الأثر ، فبحث عن أصوله فكانتا مخطوطتين إحداهما في لننغراد تاريخها سنة ٨٦٣ هـ ، والأخرى في باريس تاريخها سنة ٦٦٦ هـ وهي أقرب الى زمن المؤلف إذ كتبت بعد وفاته بست سنوات ومنقولة عن نسخة بخطه ، غير أن احداث الزمن قد أصابت هذه النسخة

فغطت على الكثير من محاسنها وصعبت قراءتها فاضطر الناشر الى الرجوع الى كتب التاريخ يستمدها كمال النقص وسد العيب وتصويب الأسماء الاعجمية والعربية والموازنة بين جمل المؤرخين وعباراتهم وبين عبارة ابن العديم ، وأثبت كل ذلك في ذيل الصفحات ليثق « القارىء بما يقرأ ويؤمن بما يرد في الكتاب » .

حتى إذا بلغ الخرم الواقع بالنسخة ووقفت أمامه عبارة مكتوبة بخط متأخر « من هنا مفقود كراسة » حار ولم يستطع الحصول على نسخة لييننغراد ، فرجع إلى مقدمة المستشرق فريتاغ لما نشره من الزبدة فوجد أنه قد وقع في مثل هذه الحيرة وانه أراد أن يتحرى كمال هذا النقص في نسخة لييننغراد أيضاً فلم يوفق لأن النقص واقع فيها كذلك مما يثبت أنها منقولة عن نسخة باريس . ومع كل هذه الصعوبات فان الدكتور الدهان لم ييأس وعاد الى الكتب المتأخرة التي نقلت عن ابن العديم فصوّب عنها وأكمل منها ما نقص بما لا يختلف عن لغة الرجل وأسلوبه وسياق تاريخه .

ومن هذا يتجلى مدى العناية التي بذلها ومدى المشاق التي اعترضته فذللها حتى ردّ الى الكتاب روحه وبعثه الى الوجود قويًّا سليم الروح مستويَ الملامح .

ولم يقف الأمر عند نشر نص الكتاب ، فحسب ولكن الناشر المحقق أضاف اليه هوامش متعددة لما يقابل الأخبار الواردة في الكتاب حتى يكون أمام القارىء عرض شامل لما كتبه المؤرخون ، إلى جانب الفهارس العديدة التي ذيل بها الكتاب .

وتحقيقات الأستاذ الدهان لما نشر من الكتب وما ينشر دروس جديرة بالالتفات اليها ، ولعل الجامعات المصرية تنتهز فرصة وجود هذا الرجل في مصر فتنتدبه لالقاء عدة محاضرات في أصول النشر الحديث ، ينتفع بها الطلبة فيقبلون على نشر المطوي من آثارنا والمدفون المجهول من روائعنا .

حسن كامل الصيرفي

التربية في الشرق الأوسط العربي

للدكتور أمير بقطر — صفحاته ٧٤٦ صفحة من قطع المقتطف وطبع بالمطبعة العصرية بمصر

الدكتور « أمير بقطر » قطب من أقطاب التربية الحديثة ، ونجم من نجومها المتألقة في الشرق العربي .

ومركزه كمدير لكلية التربية بالجامعة الامريكية بالقاهرة ، يجعله ضابط اتصال بين الشرق الناهض المتوثب ، وبين مهد التربية الحديثة في أمريكا زعيمة الثورة التربوية في العالم واخلاصه لفنه ، وتوفره على عمله يجعله يترصد كل شاردة من النظريات الحديثة ، يقتنصها ليقدمها إلى قراء العربية ورواد التربية في هذه البقعة من الشرق .

وكتاب اليوم ليس كتاباً بالمعنى المعروف ، ولكنه سجل دقيق حافل للحركة التربوية الناشئة في هذا الشرق العربي ، وبقدر ما فيه من الدقة والضبط والاحكام ، فقد استوعب كل ما يمكن أن يعرف عن الجهاز التعليمي ، والأداة الثقافية في هذه البلاد على شتى نزعاتها وتباين مصادر التوجيهات التي تحدد أهداف الثقافة فيها .

ولهذا الكتاب قصة تبدأ فكرتها الأولى في أمريكا وتكتب فصولها ستة بلاد عربية ثم يرفع الستار عنها هنا .. في القاهرة .. فما قصة هذا الكتاب ؟ وكيف ظهر في الوجود؟ لقد طلبت الحكومة الأمريكية أن يكون لديها سجل واف عن الطلاب العرب الذي يبعثون اليها من مختلف بلاد الشرق العربي ، ليكون أساساً يهتدى به في وضعهم مواضعهم من جامعاتها ومعاهدها ونبراساً ترسم في ضوئه سياستها في تبادل الطلاب بينها وبين تلك البلاد

فكلفت مجلس التعليم الأمريكي بواشنطن القيام بهذا العمل فعهد الى الدكتور «رودريك ماثيوز» أستاذ التربية بجامعة «بنسلفانيا» ، والدكتور «متى عقراوي» مدير التعليم العالي بالعراق والمنتدب للعمل بقسم التربية «باليونسكو» ، يؤازرهما الأستاذ امام عبد المجيد من موظفي الجامعة العربية — فقاموا بدراسة مستوعبة لهذا الموضوع.

وفي سبيل ذلك «قطعوا ألوف الأميال ، وزاروا مئات المدارس واتصلوا بعدد كبير من موظفي الحكومات ، وحصلوا منهم على معلومات إحصائية ، وصور من اللوائح والقوانين ، والمناهج الدراسية ، وتحدثوا إلى المعلمين ، ووقفوا على أحوال الطلبة ومدى استجاباتهم للتعليم ، وطرق التدريس ، والمعاهد ومقدار كفايتها من الأساتذة والأدوات والمعامل .. »

واستمروا قرابة سنوات ثلاث يدرسون ، ويناقشون ، ويقارنون حتى تعمقوا هذه الدراسة ، وخرجوا بهذا التقرير الضافي الذي أصبح أساساً ثابت الدعائم للتعاون الثقافي الدولي ، ومرجعاً حافلاً ممتعاً لدراسة التربية المقارنة في البلاد العربية دراسة خصبة منتجة تتيح الفرصة لتقريب وجهات النظر ، وتوحيد الأهداف الثقافية في هذه البلاد المتقاربة النزعات والعواطف ، المتحدة الأهداف والآمال.

وتستطيع أن تتبين ما يعنيه هذا الكتاب حين تقرأ سطوره الأولى : — « لما كان الفرد بالتربية ، والأمة بأفرادها ، فان نوع التربية التي يتلقاها النشء في العالم العربي اليوم ، ينبىء بنوع العالم الذي سيعيش فيه غداً . وما يفكر فيه زعماء الأقطار العربية ، وما

يطمحون إليه اليوم — خصوصاً فيما يتعلق بنوع التعليم وقوانينه — يلقي ضوءاً ساطعاً على المستقبل الذي نتوقعه ، وتدل هذه اللوائح والقوانين على شدة العناية بالتربية ، سواء بالكم أو بالكيف . على أنه لابد من التسليم بأن تحويل المطامح إلى ضرائب لتمويل التعليم عملية بطيئة في البلاد التي تعيش على الزراعة » وما تكاد تتنسم من ثنايا هذه الكلمات تلك الرائحة التي تمتعض لها أنوف الشرقيين — رائحة التدخل في شئونهم التي يمقتونها ويأنفون منها .. حتى يكون البحث صريحاً واضحاً ، ينفي عن نفسه التهمة ، ويرد اعتبار الشعور العربي بهذه الكلمات الصريحة الواضحة : —

«ولما كانت هذه البلدان (العربية) ليست صاحبة الفكرة في هذه الدراسة ، فقد رأى القائمون بها أن يكون الكلام عن التعليم فيها وصفياً عارياً عن التقدير ، مجرداً من النقد ، حريصاً على تجنب كل ما يشتم منه وزن النظم المختلفة في الموازين ، أو قياس المدارس بالمقاييس أو التعرض لتقديم مقترحات بشأن هذه أو تلك .. » .

ثم يمضي الكتاب نحو الهدف المرسوم ، فيدرس في هذه البلاد : نظم التربية وإداراتها ، والتعليم العام ، والتعلم الثانوي والفني ، والتعليم العالي والبعثات التعليمية ، ومعاهد اعداد المعلمين ، والمدارس الحرة والمؤسسات الأجنبية وأثرها في الثقافة الوطنية .. كل ذلك في تدرج منطقي سليم تدعمه الأرقام المستقاة من أصدق مصادرها ، مع أحدث الاحصائيات مفرغة في جداول دقيقة تؤيدها الصور والرسوم التوضيحية والبيانية . حتى إذا انتهى من كل ذلك الى الغاية المرسومة ، واستوعب هذه النظم في مصر وسوريا ولبنان والعراق وشرق الأردن وفلسطين كتب فصله الأخير عن « التعليم والتطور الثقافي في العالم العربي » وهو فصل أقل ما يقال فيه « إنه جدير أن يكتب بماء الذهب » .

هذا البحث الدقيق المستفيض لم يقدر لكاتب أو مرب أو هيئة علمية في البلاد العربية أن تقوم به ، أو تفكر فيه ، لقلة الرغبة وانعدام الوسائل ، ولأن الحقيقة المرة المؤسفة : إن أي مفكر عربي لو فكر في مثل هذا المجهود ، فلن يلقى الوسائل التي تشد أزره ، وأخصها المادة ، وإن وجد فلن يقوى على احتمال المصاعب ، وإذا احتمل فلن يظفر بمعونة المسئولين في البلاد العربية ، وإذا ظفر فلن ينجو من الاتهام المغرض !

ولكن مجلس التعليم الأمريكي قد استطاع أن يصنع المعجزة ، فخرجت على الناس في هذا السفر القيم ، وكان من حق القراء في الديار العربية ان يتأملوا صورهم في هذه المرآة ، ومن حق المكتبة العربية ألا تحرم هذه الدرة الغالية — على ندرة ما فيها من مراجع في

هذا الموضوع — فما يزال مكان هذا السفر خالياً في مكتبة التربية العربية وهنا يجيء دور المترجم الفاضل، فيتولى نقل هذا العمل الجبار الى اللغة العربية بأسلوبه السلس الرصين، فيحدثنا — في تواضع — أنه «قد تمشى مع الأصل جملة جملة، وسطراً سطراً، .. وكلمة كلمة كلما استقام له المعنى» وعلى الرغم مما صادفه في عمله من صعوبات أقلها اختلاف المصطلحات العلمية، والتسميات المتباينة للمدارس ومراحل التعليم وأسماء الامتحانات والشهادات باختلاف مصادر الثقافة العربية الحديثة — فقد جاء الأصل والترجمة «كالحسناء وخيالها في المرآة». فما أجمل الحسناء، وما أبدع خيالها.

وقد علق عليه المترجم تعليقات قيمة، تشير إلى بعض المراجع، أو توضح ما غمض أو تتابع التطورات السريعة التي تمت بعد كتابة هذا البحث، غير أن بعضها لم يكن دقيقاً بالقدر الذي عرف عن الدكتور «بقطر»، بل على العكس كان الأصل في بعض الأحيان أدق من التعليق وأخص بالذكر مركز كلية «دار العلوم»، فالأصل يشير الى أنها «قد ضمت إلى جامعة فؤاد كإحدى كلياتها» ص ١١٩، ولكن الدكتور يصر على أنها قد ضمت إلى كلية الآداب، وهو خطأ مع سبق الاصرار، إذ يذكره في صحيفة ٢٨، كما يكرره في صحيفة ١٢٣، وبالرغم مما فيه من خطأ فإنه يغضب أبناء دار العلوم الذين جاهدوا جهاد الأبطال حتى اعترفت الجامعة بها كلية مستقلة لدراسة اللغة العربية والشريعة الاسلامية» وهي لا تمنح خريجيها «بكالوريوس» كما يدعي الدكتور ص ٨٧ ولكنها تمنحهم «ليسانس في اللغة العربية والدراسات الإسلامية». وأنا أخشى أن يعتبر «الدرعميون» هذه الأخطاء مقصودة من الدكتور فيطالبوه بالتعويض.

وكنا نود أن يتابع تعليقاته على الأصل في بعض المواضع ولكنه تركها عند الحاجة اليها، ففي صحيفة ٨٠ يزعم الأصل أن ليس للبنات أي نوع من التعليم التجاري على حين أن التعليم التجاري (التكميلي والمتوسط للبنات) سابق لتاريخ هذا البحث.

كما ترك الأصل على تخليطه واضطرابه فيما يختص بالجامعة الأزهرية، وشؤون الأزهر وهيئة كبار العلماء. وكما أن بعض الجداول والاحصاءات والرسوم التوضيحية قد بعدت في بعض الأحيان عن مواضعها الطبيعية التي جاءت لتوضيحها.

وبالترجمة بعض الأخطاء اللغوية التي كان لا بد أن يند عنها النظر في كتاب ضخم كهذا وهي لا تبلغ أن تسمى أغلاطاً، لأنها تظهر للنظرة العابرة ولا تخفى على القارىء العادي.

ويكفي أن يعرف القارىء أن هذا السفر يضم بين دفتيه ٧٤٦ صحيفة من القطع الكبير

وبه ٤٧ صورة و ١٤ رسماً مصوراً و ٩٢ جدولاً وأنه مطبوع طبعاً أنيقاً .. وأنه..وأنه حتى يفسح صدره لما قد يفلت من أخطاء صغيرة . وهو لكل هذا مرجع لا بد منه لطلاب التربية ومعاهدها في العالم العربي وضرورة لاغنى عنها للمكتبات المدرسية والعامة، ومتعة للمثقفين عامة والمشتغلين بالشئون الثقافية والعربية بنوع خاص .

ولا أستطيع في هذه العجالة أن أجول بالقارىء في ثنايا هذا السفر الممتع فأتركه، وأترك معه صفحات المقتطف لرجال التربية في البلاد العربية، يتناولون منه ما تضطرب به ديارهم في مواكب الثقافة، وقوافل الفكر .

رضوان ابراهيم

درجات الناس عند الملوك

تأليف فضيلة الشيخ طه الساكت — صفحاته ١٦٠ — طبع بمطبعة أمين عبد الرحمن بمصر

هذا كتاب لا أكون مغالياً إذا قلت إنه فريد في اتجاهه وتأليفه وتنسيقه وجمعه فمؤلفه الفاضل.. استاذ عالم عامل مجد، له مواقف مشهودة في الدفاع الحار عن هذا الصرح العتيد الذي عد بحق من جنده المخلصين الذين يجدون لذة في هذا الجهاد الخصيب الممرع الذي يفيد الاسلام ويعتز به بنوه الذين سيذكرون ما للمؤلف من أثر بارز في هذا اللون من ألوان البحث الشائكة التي تحتاج الى مال ووقت وكد ونصب في سبيل ابراز ما يعتمل في فكر الباحث المدقق الى الوجود الذي سيحمد له ما لاقاه في بحثه من أهوال وصعاب ... فالشيخ الساكت قد عرض في هذا المؤلف النفيس جانباً من آثام الأمم وما حلّ بها من النكبات والنقم، وضرب أمثلة شتى من مختلف الصحف وأقوال الباحثين والذين تعنيهم هذه الناحية ووصف أدواء مختلفة لهذه العلل وتلك الكارثات التي كثيراً ما تعصف بالأمم وتحاول أن تفل من بنيان الاسلام الأشم . . !

وإن تعجب فاعجب لصنيع المؤلف الفاضل فقد أبت نفسه الكريمة إلاّ أن يهدي كتابه هذا الى الملوك والعلماء والقادة متحملاً فوق طاقته العلمية ما أنفقه في سبيله من مال وجهد، وحق له أن يفعل هذا؛ «لأنه أفنى فيه زهرة عمره ومهجة فؤاده فما كان له بعد ذلك أن يبيعه بعرض من الدنيا — كما قال — والاّ كان أخسر التجار صفقاً، ولا أن يهديه لغير أهله والاّ كان أسفه الناس رأياً».

وفق الله مؤلفه الفاضل إلى ما فيه الخير وأرشده الى الصواب وجعله نبراساً يضيء أمام الذين يريدون الخير لهذه الأمة التي يجب أن يكون لها من بنيها مرشد مخلص، وهاد أمين، يبعث ذلك التراث السامق، ويمسح غبار الزمن عن هذا المجد الذي نعيش له ونجاهد من أجله، ونموت دونه.

أبو طالب زيان

باب الأخبار العلمية

كشف أثري بالواحات الخارجة

الرياح تكشف عن مدينة رومانية

من عهد الامبراطور ماركوس اوريليوس

يلاحظ المتنقل بين فيافي الواحات كثيراً من الكثبان الرملية الناعمة، تتحرك وتتنقل من جهة الى اخرى، نتيجة لهبوب الرياح. كما أن قرى الواحات كثيراً ما تحاصرها هذه الرمال فيهجرها أهلوها الى مكان آخر.

« الغرد » ويطلق سكان الواحات على هذه الرمال لفظ « غرد » وأخيراً لاحظ حارس الآثار خلال مروره بمنطقته، وجود مبان ظاهرة على سطح الأرض في ارتفاع بسيط لم يسبق له ان رآها في دركه. وذلك في بقعة تبعد نحو ١٨ كيلوا متراً من الواحات الخارجة في اتجاه قرية المحاريق بمنطقة قاحلة في وسط الصحراء تسمى التراكوة، وكان ظهورها نتيجة لتحرك الرمال عنها وانتقالها لجهات أخرى.. وبعد مئات السنين.

« قاعات أثرية » وقد أسرع الأستاذ راشد نور، كبير المفتشين والأستاذ ابراهيم عبد العزيز مدير الأعمال بمصلحة الآثار المصرية، الى هذا المكان اذ كانا يزوران الواحات في ذلك الوقت، لأن قسم الهندسة يقوم بترميم معبد هيبس الكبير بالواحات الخارجة منذ ثلاث سنين. وبمساعدة الريس حبشي وعماله أمكنهم إزاحة الرمال عن المباني في جو عاصف، فتبين أنها عبارة عن ثلاث قاعات مستطيلة بأسفلها قاعات أخرى يحتمل أن تكون مقابر. وهذه القاعات جميعاً بنيت بالحجر الرملي الأصفر، وبها نقوش هيروغليفية يدرسها الآن الأستاذ راشد، كما عثر في حائط احدى القاعات على كوة مستطيلة الشكل، في هيئة بوابة معبد كانت مخصصة لوضع تمثال أو بعض القرابين فيها. أما أبواب هذه القاعات فكانت مسدودة بأحجار وبلاط.

« مدينة ومعبد » وبالرغم من صعوبة المواصلات في هذه البقعة النائية، فقد أمكنهم الكشف عن فناء كبير أمام هذه المقاصير، ثم على بعد نحو خمسين متراً منها عثر على بوابة كبيرة (بيلون) من الحجر الرملي مطمورة في الرمال، وهذه

البوابة لابد أن تكون مدخلاً لمعبد ، وبخاصة أنها تشبه احدى بوابات معبد هيبس كما ثبت أنه توجد هناك مدينة رومانية تحت الكثبان يمكن ملاحظتها من تعرج سطح الرمال وتشكله .

« القصر » ومن أهم المباني التي كشف منها بالقرب من المعبد ، قصر كبير من الطوب اللبن ، ذو أعمدة ضخمة مربعة بعقود تحمل قباباً من الطوب أيضاً تشبه في طريقة انشائها وتكوينها المعماري مباني البجوات (القبوات) المشهورة المقامة على هضبة عالية بالواحات الخارجة ، كما عثر على درج في القصر يفضي الى دور سفلي .

« سور ضخم » ويرجح أن تاريخ هذه المدينة الرومانية يرجع الى أواخر القرن الثاني وأوائل القرن الثالث الميلادي ويحتمل أنها من عصر الامبراطور الروماني الفيلسوف مرقص اوريليوس ، أكثر الأباطرة حكمة واتزاناً ، والذي اشتهر بتواضعه وميله للتقشف ومما يذكر أن بالواحات الخارجة بعض آثار عليها أسماء لملوك من عائلة هذا الامبراطور ، منهم انطونيوس التقي وكومودبوس ابنه .

*

« الآثار بالواحات » ولا شك في ان هذه المدينة المكتشفة حديثاً هي احدى المدن الكثيرة المطمورة في الصحراء الغربية وازدهرت كمثيلاتها ، في وقت من الأوقات كانت فيه الواحات مناطق خصبة ومراكز هامة للتجارة ، ولقد زاد اهتمام مصلحة الآثار المصرية بآثار الواحات فأنشأت بها قسماً لبحوث الصحراء يرأسه الاستاذ أحمد فخري ، كما أن سعادة شفيق غربال بك زار آثار الواحات غير مرة .

آلات مصورة تكافح أمراض القلب

اخترعت حديثاً آلتان مصورتان « كاميرا » يتوقع الخبراء أنهما ستعاونان الانسان ، على مكافحة أمراض القلب . فتقوم احداهما بتسجيل الأصوات التي يولدها القلب البشري ، تسجيلاً منظوراً .

ونقصد بها الأصوات الخافتة التي لا تستطيع اذن الطبيب سماعها وعندما يقصد الطبيب استعمال هذه الآلة ينبغي أن يضع ميكرفوناً صغيراً فوق قلب المريض فيلتقط ذلك الميكرفون ، الأصوات الناجمة عن قلب المصاب فيفخمها ثم يحولها أشعة ضوئية . وذلك بصمامات كهربية مشحونة بكهربة سلبية . وفي الآلة شريط متحرك يسجل مسير الأشعة المشار اليها . فينتج عن هذا ، صورة نموذجية لصوت قلب المريض . أما الآلة المصورة الأخرى

فتوصل بجهاز الالكتروكارديوغراف حيث تصور نبضات القلب أي الارتفاع والانخفاض اللذين يحدثان في التيار الكهربي القلبي ويسجل هذا العمل كله على فيلم يستجلى ويثبت ويغسل ويجفف في أربع ثوان. فينتج منه سجل عاجل مطبوع يبين حالة قلب المريض

جهاز جديد لمساعدة العميان

ابتكر الدكتور هينز كالمان من نيويورك جهازاً جديداً يساعد العميان على السير في الطريق بدون الاعتماد على عصا أو كلب بل يستغل في جهازه الاضاءة التي توسلها الأشياء فتدل الأعمى على ماهيتها ومدى بعدها أو قربها منه. ولا يتجاوز حجم هذا الجهاز حجم أداة تصوير صغيرة ومن الميسور تصغيرها ليتيسر حملها في الجيب

وفي أول الأمر كان التفكير يتجه الى تقليد الخفاش في حاسته التي تخطره بأي شيء في طريقه فان الخفاش وهو طائر يعمد الى الصراخ فيحدث صوته موجودات اذا صدمت جسماً عادت الى الخفاش مرة ثانية فعرف أمره وحاد عنه.

وفكر الخبراء في استغلال هذه الخاصية بأن يحمل الأعمى جهازاً يرسل موجات راديو أو ضوء تعود اليه مجسمة بجهاز آخر فتخطره بمكانها، ولكن الدكتور كالمان رأى أن مثل هذا الجهاز لا يمكن تصغيره وحمله بسهولة ولهذا فكر في الاستعانة بالأضواء التي توسلها الاجسام نفسها. وأهم أجزاء هذا الجهاز عدسة جامعة تحدد مكان الشيء بالضبط تبعاً لوضوحه منها فتعكس هذه الموجات الى أصوات تختلف باختلاف بعد الشيء عنها وتوسلها الى أذن الأعمى فيعرف ما حوله.

ومن الضروري لاستخدام هذا الجهاز أن يعرف الأعمى لغته ويتدرب على فهمها ويقول مبتكرها أنها تستخدم ٨ أصوات تبين الأشياء التي في متناول اليد أو على بعد ١٥ قدماً من الجهاز ومنها ما يرشده في حالة صعود السلم أو هبوطه.

*

ومن مساويء هذا الجهاز أنه لا يرى في الظلام ويمكن استخدامه باضاءة شمعة أو مصباح كهربائي صغير ويقدر ثمنه بنحو ٢٥ دولاراً وكل نفقات تشغيله بطارية لتشغيل جهاز الصوت وهذه تكلف مستخدم الجهاز نحو ١٠ سنتات في الشهر.

وقد أعلن كالمان أنه مستعد للتنازل عن حقوق الاختراع أو الربح من جهازه فكل ما يرجوه هو خدمة العميان الذين يبلغ عددهم ٢٥٠،٠٠٠ أعمى في أميركا وكل ما يرجوه ان تعاونه شركات انتاج أدوات ضبط المسافة للعدسات في توفير هذه الأجهزة لمصلحة العميان.

زرق العيون وسرطان الشمس

هذا تحذير يسوقه الدكتور فالتشر هول من جامعة كاليفورنيا الى الشقر ذوي العيون الزرق ، فهم أكثر تعرضاً للسرطان اذا ما لفحتهم الشمس من غيرهم ذوي العيون السود أو العسلية . وقام بدراسة عميقة على مائة شخص حتى خرج بهذه الصلة بين السرطان ولون العيون ، ثم قال في تقريره القيم «تدل الشواهد والملاحظات على أنه كلما كان اسلاف المرء ذوي عيون بنُسبة غامقة كانوا أمنع على الأشعة التي تسبب السرطان . أما الأطفال زرق العيون الذين انحدروا من اسلاف يماثلونهم في هذه الزرقة ، فهؤلاء أضعف مقاومة وأكثر تأثراً وتعرضاً للسرطان ، لكن الكثيرين من هؤلاء اذا ما دبغتهم الشمس ، دون أن يتكرر لفحها وحرقها ، يكتسبون من المناعة والمقاومة ما يحفظهم من شر هذا المرض. الامين .

آلة تصور باطن العين

يستطيع الأطباء الآن تصوير باطن العين وذلك بآلة تصوير فوتغرافية «كاميرا» فائقة السرعة تصور صوراً ملوّنة أو سوداء أو بيضاء تبين دقائق شبكية العين وخيوط أعصابها وغيرها من العناصر الداخلية لحاسة البصر . ولهذه المصورة عدسة بؤرية مستطيلة جداً أشبه بتليسكوب .

كرة من البلاستيك تتنبأ بالجو

في مدينة مينابوليس بأمريكا يستطيع الناس أن يعرفوا الجو وتقلباته بمجرد ان يرفعوا النظر الى كرة من البلاستيك مضيئة ترتفع عالياً فوق المدينة . فلقد زودت تلك الكرة في داخلها بأنابيب من النيون تلمع مضيئة بألوان مختلفة ، ولكل لون ما يعنيه وما ينبيء عنه ، تضيء باللون الأحمر فتدل على موجة حرارة قادمة ، وتشع باللون الأبيض فتنذر بالبرد ، وهي خضراء زاهية اذا لم يكن هناك ثمة تغيير في الحالة الجوية أما اذا ارتعش الضوء وخفق فتلك دلالة المطر والجليد .

ولقد جهزت الألوان ونظمت على أن تتفق مع التقارير والنشرات التي تصدرها مصلحة الارصاد الجوية بالمدينة . وتلك الكرة التي تعلق بها أبصار الناس في غدوهم ورواحهم انما رفعت على مصرف كبير في المدينة ، استطاع بتلك الوسيلة أن يجذب الأعين والاهتمام ، فكانت طريقة جميلة مبتكرة للدعاية والاعلان .

* *

الفهرست

للجزء الثالث من المجلد الثامن عشر بعد المئة

٢٢٩ محنة الأدب المعاصر للأستاذ مصطفى عبد اللطيف السحرتي
٢٣٩ الخواص الوراثية لدم الانسان للأستاذ اميل توفيق
٢٤٣ وحدة القصيدة في الشعر العربي للأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي
٢٤٩ الصابرون « قصة » للأستاذ شكري باشا شمشاعة
٢٥٣ نظرات في النفس والحياة — تابع نظرات السير هلبس للأستاذ ع . ش .
٢٥٦ تطور الموسيقى في سورية خلال نصف قرن — ٢ — للأستاذ ميشيل الله وردي
٢٦٠ ولدي « قصيدة » للأستاذ عدنان مردم بك
٢٦١ العناصر المعدنية في جسم الانسان للأستاذ اسبيرو جدري
٢٦٥ نحن واللغة العربية — ٣ — في مصر لمعالي الأمير مصطفى الشهابي
٢٧٠ المخترعات المرتقبة في النصف الآتي من القرن الحالي للأستاذ عوض جدي
٢٧٤ البطليوسي للدكتور محمد يوسف موسى
٢٧٨ حلم الحكومة العالمية — ٢ — للأستاذ صلاح الدين الشريف
٢٨٤ فلسفة الأدب للأستاذ عبد السلام رستم
٢٨٧ زلال الحمل للدكتور عبده رزق
٢٩٠ [باب المراسلة والمناظرة] : أرتريا الجديدة — للدكتور أحمد زكي أبو شادي
٢٩٢ التقويم الزراعي — لشهر مارس
٢٩٣ [مكتبة المقتطف] : زبدة الحلب من تاريخ حلب : عرض وتحليل للأستا
حسن كامل الصيرفي — التربية في الشرق الأوسط العربي : للأستاذ رضوا
ابراهيم — درجات الناس عند الملوك : للأستاذ أبو طالب زياف
٣٠٤ [باب الأخبار العلمية] : الرياح تكشف عن مدينة رومانية . آلات مصور
تكافح أمراض القلب . جهاز جديد لمساعدة العميان . زرق العيون وسرطا
الشمس . آلة تصور باطن العين . كرة من البلاستيك تتنبأ بالجو .